الإعجاز القرآني في الأسلوب المتفرد

(صلاح البال) أنموذجا

إعـداد

دكتور/ عبد المحسن محمود أحمد منصور

أستاذ البلاغة والنقد المساعد

في كلية اللغة العربية بالمنوفية

جامعة الأزهر - مصر

١٤٤٦هـ- ٢٠٢٥م

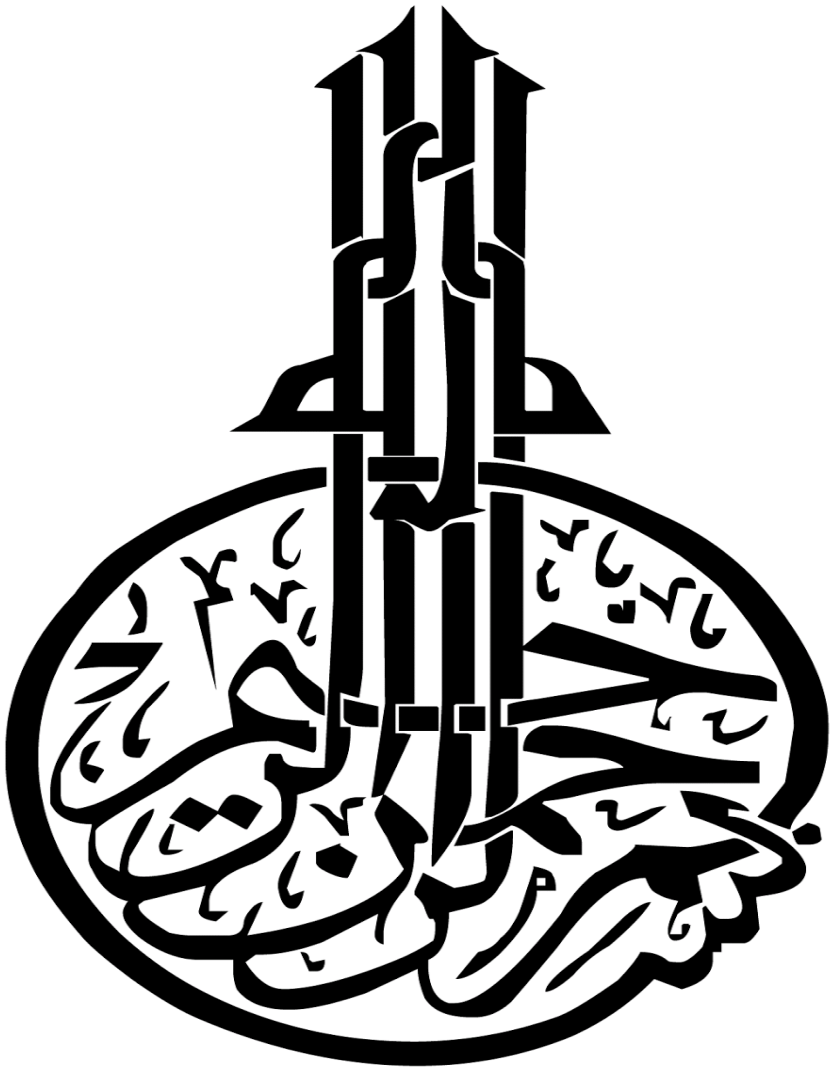

الإعجاز القرآني في الأسلوب المتفرد (صلاح البال) أنموذجا

عبد المحسن محمود أحمد منصور
قسم البلاغة والنقد - كلية اللغة العربية بالمنوفية - جامعة الأزهر-مصر
البريد الإلكتروني:
Lmohsenzx4@gmail.com

الملخص:

إنماز القرآن الكريم بنماذج وأساليب وعبارات وألفاظ فرائد لم ترد في غير موضعٍ متفرد أو موضعين علىٰ الأكثر، من تلك العبارات التي استوقفتني منذ بداية رحلتي مع تدبر آيات القرآن الكريم، من محكمه ومتشابهه، وكنت كلما أمر عند تلاوة هذا الموضع يلامسني إحساس بالطمأنينة، ويملأني شعور بالراحة . وكنت كلما عزمت علىٰ الخوض في بيان أسرار هذا التعبير المعجز شغلت عنه إلىٰ غيره، إلىٰ أن وفقني الله –تعالىٰ– للنظر في هذا الموضع الفريد الذي لم يرد في القرآن كله صراحة غير مرتين في سورة (محمد)–صلىٰ الله عليه وسلم–، وهما قوله تعالىٰ : (وأصلح بالهم)، (ويصلح بالهم)، والذي شدني إلىٰ تناول هذا التركيب المعجز في بيانه وأسلوبه، كيف عبر القرآن عن صلاح البال في جانب الذين قتلوا في سبيل الله، وما مناسبته بما قبله وبما بعده، ودواعي ذلك، وأثره علىٰ النفوس ؟ من هنا شمرت ساعد الجد في البحث عن دواعي استعمال الموضوعين ومناسبتهما ومعالجة كل معالجة بيانية بلاغية. ومن العجيب أن تجد موقفا عصيبا مر علىٰ المسلمين يوم أحد اشتد عليهم البلاء، وقام رأس المشركين بتعييرهم بما لا يليق، فتولىٰ الحق سبحانه رد تعييرهم بما هو أصلح للنفوس، وأهدأ للقلوب، حيث تولىٰ رعايتهم وولايتهم، ومحا عنهم آثار المعاناة وما يشغلهم من التفكير وما يقلق حالهم ومآلهم، ومناسبة قوله تعالىٰ: (ذلك بأن الله مولىٰ الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولىٰ لهم)، لما قبلها :

(وأصلح بالهم) موضع البحث، وما ذاك إلا تكريما لهم ورفعة لشأنهم في الدنيا والآخرة؛ لذا تصدرت السورة الكريمة بهذا الشرف العظيم طمأنة لقلوبهم، والدفاع عنهم وتولي أمرهم، ومحو ما يحيط بهم من أحقاد؛ ولتثبيت صفوف أهل الإيمان، ولمواجهة الحروب النفسية التي شنّها أهل الشرك إضعافا لقوىٰ أهل الإيمان، ونصرهم والحفاظ عليهم .

الكلمات المفتاحية :

إعجاز القرآن-صلاح البال-الحال- الفكر- القلب – الهداية-آمنوا -قتلوا في سبيل الله –كفروا- في قلوبهم مرض.

The Miracle of the Qur'an in its Unique Style (Salah al-Bal) as a Model

Abdul Mohsen Mahmoud Ahmed Mansour
Department of Rhetoric and Criticism, Menoufia University, Al-Azhar University, Egypt.
Email: Lmohsenzx4@gmail.com

Abstract:

The Holy Qur'an is distinguished by its unique models, styles, expressions, and words, found only in one or two unique places at most. These are expressions that have captivated me since the beginning of my journey of contemplating the verses of the Holy Qur'an, both its clear and ambiguous verses. Whenever I come across this passage while reciting, I am overcome by a sense of reassurance and a sense of comfort. Whenever I resolved to delve into the secrets of this miraculous expression, I would turn to something else. This was until God Almighty guided me to consider this unique passage, which is only explicitly mentioned twice in the entire Qur'an, in Surah Muhammad (peace and blessings be upon him), namely, the Almighty's saying: "And He will set right their condition" (Surah Muhammad), and "And He will set right their condition." What drew me to this miraculous structure, both in its statement and style, was how the Qur'an expressed the setting of the condition of those killed in the cause of God, and how it related to what preceded and followed it, the reasons for that, and its impact on souls. From here, I rolled up my sleeves and began to research the reasons for using the two topics, their relevance, and to address every rhetorical and illustrative treatment. It is strange to find a difficult situation that the Muslims went through on the Day of Uhud, when the affliction intensified upon them, and the leader of the polytheists taunted them in an inappropriate manner. God Almighty responded to their taunts with what was best for their souls and calmed their hearts, as He took care of them and protected them, and erased from them the traces of suffering and the thoughts that preoccupied them and the worries about their condition and fate.

The relevance of the Almighty's saying: (That is because Allah is the Protector of those who believe, and that the disbelievers have no protector), to what preceded it: (And amended their condition) is the subject of discussion. This is nothing but an honor for them and an elevation of their status in this world and the hereafter. Therefore, the noble Surah was preceded by this great honor to reassure their hearts, defend them, take charge of their affairs, and erase the grudges that surrounded them; to strengthen the ranks of the people of faith, and to confront the psychological wars launched by the polytheists to weaken the strength of the people of faith, and to support and preserve them.

Keywords: The Miracle of the Qur'an, Peace of Mind State, Thought, Heart, Guidance, Believed Killed in the Cause of God, Disbelieved, In Their Hearts Is Disease.

مقدمة

الحمد لله المنعم علىٰ عباده بصلاح البال، وتوفيق المآل، والهداية والإنعام والإفضال في الدنيا والآخرة، والصلاة والسلام علىٰ نبي الرحمة، وجليل الخصال، وعلىٰ صحبه والآل، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم النوال.

أما بعد،

فإن أقصىٰ أماني العبد الخاضع أن يرضىٰ عنه ربه، وأن يحوطه بتوفيقه وهدايته وحفظه وستره، ولا يزال القرآن الكريم تتجدد معانيه، وينفتق عن بديعة ويفصح عن سر من أسرار الإعجاز القرآني، وطرائق الجمال البيان.

يقول البقاعي: (فإن كل من سمع القرآن من ذكي وغبي يهتز لمعانيه، وتحصل له عند سماعه روعة بنشاط ورهبة مع انبساط لا تحصل عند سماع غيره) (١)، من هنا فقد كان لي- منذ صغري- وقفات محيرة، كلما مررت ببعض آي القرآن، ونبضات مبهمة، أجدها في نفسي لا يستوعبها عقلي المحدود في بيان معرفة أسباب الإعجاب بل الأريحية والاهتزاز لبعض تراكيب القرآن الكريم وآياته، والتي منها ما ورد في سورة محمد مرتين أول السورة الكريمة: الأولىٰ في حق الذين آمنوا: (وأصلح بالهم)، والأخيرة في حق المقاتلين في سبيله:(ويصلح بالهم) ويشغلني فهم الإصلاح في التركيبين، أي فسادٍ كان عليه البال من حالٍ، وفكرٍ وقلبٍ، فيوعد المرءُ بإصلاحه؟!! ولماذا خص هذين الصنفين تحديدًا؟

وترىٰ السياج المحلقة في قوله: (بالهم) والمحيطة بضمير الخطاب، تعود علىٰ صنفين الثاني منهما يدخل ضمنا في الصنف الأول: (الذين آمنوا، والذين قتلوا في

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي(٨٨٥ هـ) ١/ ١١، ط/ دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، بدون تاريخ.

سبيل الله)، وتختص بهم أنفسهم وتخرج غيرهم، وما الذي فعلوه لكي يستحقوا هذا البعد العالي من تكريم النفس والتطهير الشريف؟!!

وما دواعي نزول تلك الآيات المصاحبة لهذا المقام، وأسبابها ومقتضياتها وبواعثها الخفية التي لم تر النور في مقاصد السورة الكريمة علىٰ كثرتها ووفرتها.

من هنا توافرت الدواعي لعقد تلك الدراسة الشيقة التي تنظر في سر من أسرار بيان الإعجاز القرآني البديع وجاء بعنوان: [**الإعجاز القرآني في الأسلوب المتفرد (صلاح البال) أنموذجا**].

وكنت كلما دخلت بعمقٍ في أطراف البحث لم أجد ما يعينني علىٰ اكتمال الرؤية ومعرفة السر، حتىٰ وقعت علىٰ نص من أسباب ورود بعض الآيات سابقة ولاحقة (١) للمواضع المتفردة المختارة وهو ما أفشاه أبو سفيان بطريقة اهتزّت لها نفوس المجاهدين في غزوة أحد فالآيات موضع الدراسة لها مزيد تعلق بالآية بعدها: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾﴾ [سورة محمد:١١]، قال ابن كثير: (ثُمَّ قَالَ: "﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾﴾ وَلِهَذَا لَمَّا قَالَ أَبُو سُفْيَانَ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ رَئِيسُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ أُحُدٍ، حِينَ سَأَلَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَعَنِ أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فَلَمْ يُجَبْ وَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ هَلَكُوا، وأجابه عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رضي الله عنه فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللهِ بَلْ أَبْقَىٰ اللهُ تعالىٰ لَكَ مَا يَسُوؤُكَ، وَإِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لَأَحْيَاءٌ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، أَمَا إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ مُثْلَةً، لَمْ آمُرْ بها، ولم تسوؤني، ثم ذَهَبَ يَرْتَجِزُ وَيَقُولُ: اعْلُ هُبَلْ اعْلُ هُبَلْ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ألا تجيبوه؟» فقالوا: يا

(١) أعني بالسابقة: {وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ} واللاحقة: "ذٰلِكَ بِأَنَّ اللهَ مَوْلَىٰ الَّذِينَ آمَنُوا".

رسول الله وما نقول قال ﷺ قُولُوا: «اللهُ أَعْلَىٰ وَأَجَلُّ» ثُمَّ قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: لَنَا الْعُزَّىٰ وَلَا عُزَّىٰ لَكُمْ، فَقَالَ ﷺ: «أَلَا تُجِيبُوهُ؟» قَالُوا: وَمَا نَقُولُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: قُولُوا: «اللهُ مَوْلَانَا وَلَا مَوْلَىٰ لَكُمْ».) (١)

وجاء أيضًا: (فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ:أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ رَجَعَ إِلَىٰ أصحابه،فَقَالَ: أَمَّا هَؤُلَاءِ فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ وَاللهِ يَا عَدُوَّ اللهِ، إِنَّ الَّذِينَ عَدَّدْتَ لَأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوءُكَ، فقال: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ، إِنَّكُمْ سَتَجِدُونَ فِي الْقَوْمِ مُثْلَةً لَمْ آمُرْ بِهَا وَلَمْ تَسُؤْنِي، ثُمَّ أَخَذَ) (٢)

وجاء أيضًا: (قَالَ أَبُو سُفْيَانَ: يَوْمٌ بِيَوْمٍ وَإِنَّ الْأَيَّامَ دُوَلٌ وَالْحَرْبَ سِجَالٌ، فَقَالَ عُمَرُ ﷺ: لَا سَوَاءً، قَتْلَانَا فِي الْجَنَّةِ وَقَتْلَاكُمْ فِي النَّارِ.) (٣)

فدل علىٰ أن الله سبحانه تولىٰ رعاية وحفظ وتثبيت من آمنوا به وجاهدوا في سبيله وإعلاء كلمته، وقام بتولي الرد علىٰ من أساء إليهم بما يخرسهم ويسكتهم، ويحقق لهم الأمن والرخاء والسلامة والاطمئنان، فيالله من ربٍ كريم عزيز حكيم منتقم يتولىٰ رد الأذىٰ عن عباده.

والمتأمل في مناسبة الآيات في سورة محمد، والروابط والصلات بينها يقر بحقائق باهرة مفادها (من المعجز البين أسلوبه ونظمه الباهر، والذي ينبغي في كل آية أن

---

(١) تفسير ابن كثير، ٧/ ٢٨٧، وما بعدها، ط/ دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩ هـ، تح: محمد حسين.

(٢) تفسير البغوي، ١/ ٥١٤، وما بعدها، ط/ دار طيبة للنشر، ط٤، ١٩٩٧م، تح: نخبة من الأساتذة

(٣) السابق ١/ ٥١٥.

يبحث أول كل شيء عن كونها تكملة لما قبلها أو مستقلة، ثم المستقلة ما وجه مناسبتها لما قبلها، ففي ذلك علم جم) (١).

فقد ظهر بأن الآيات الكريمة: (وأصلح بالهم، ....ويصلح بالهم...) لها تعلق بقوله تعالىٰ في ذات السورة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾﴾ ، وكما قالوا في علم المناسبات بين الآيات: (وعلىٰ قدر غموض تلك المناسبات يكون وضوحها بعد انكشافها) (٢).فإن الله لا يترك عباده تشغلهم الشواغل وتدور عليهم طواحين الدنيا من أدنىٰ أذىٰ فيها، فهو كافيهم ووليهم يصلح أحوالهم وذهنهم وتفكيرهم كرامة لهم.

وتلك نتيجة من البيان النبوي القصصي لهي أسمىٰ النتائج المبينة لتراكيب القرآن المعجز وما أكثرها في القرآن، وهذا من ضمن مناهج القرآن الحيّة التي تعلي شأن البحث والتنقيب عما استحكم من الأسباب وأثرها ومقتضيتها ودواعيها.

فمن أرد راحة البال والتفكير وعدم انشغالهما بالشواغل المنغصات فعليه بتحقيق الإيمان بالله وبما أنزل علىٰ محمد – ﷺ–والجهاد في سبيل الله ونصرته وإعلاء كلمة الحق.

والدراسة – قيد البحث–لم تُسبق فيما أحسب بعملٍ متفرد، فهي من الأفكار الجديدة البكر التي تعج بها آيات القرآن المعجزة.

ولقد قابلت الباحث صعوبات كثيرة وهو في طريقه لرصد أسرار البيان الإلهي المعجز، وما ضرني أن أسأل أهل العلم من الحائزين علىٰ شرف العناية بفهمه وفقهه وتدبره، وإن لم يكونوا من أهل التخصص، غير أني لم أجد الروابط والصلات التي التقط خيوطها إلا من حادثة أبي سفيان وتطاوله علىٰ الرسول والمسلمين وإلحاق

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور١/ ٨.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور١/ ١٤.

الهزيمة النفسية بهم وتعييره لهم، وربطت الحادثة بما نزل من عند الله حاسما ومقابلا تعيير رأس الكفر آنذاك: (لنا العزىٰ ولا عزىٰ لكم) ورد الحق –سبحانه هذا التعيير القبيح المذموم: (ذلك بأن الله مولىٰ الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولىٰ لهم) ردٌّ بردٍّ، وتعييرٌ باطل بتعيير حق ثابت من عند الله الخالق؛ حتىٰ تثبت الغلبة لكلام الحق الغالب القاهر وتثبت النفوس المطمئنة وتخرس الألسنة الباطلة، فلم تنشأ العزىٰ ولا تابِعوها أن يردوا ببنت شفه.

وتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي وتناول سياقات الموضعين خارجيًا وداخليًا، والمنهج التاريخي المتمثل في النظر في أسباب نزول السورة والآيات ضمنًا. وقمت بمقابلة الموضعين و بيان حركة التأويل، وما يضمهما من أسرار وخصائص في الأسلوب.

وجاءت خطة البحث في مقدمة ومدخل لبيان مفردات عنوان البحث، وثلاثة مباحث:

المبحث الأول: الإعجاز القرآني في الموضع الأول: (وأصلح بالهم).

المبحث الثاني: الإعجاز القرآني في الموضع الأخير: (ويصلح بالهم).

المبحث الثالث: الإعجاز القرآني فيما ورد بصورة الأضداد بطريق غير مباشر لمعنى التركيب.

نظرة كلية وتدبر أخير: المناسبة والصلة بين الآيات.

وخاتمة، وبها أهم النتائج، وأردفتها ثبتا به أهم المصادر والمراجع التي استقيت منها البحث، وفهرس الموضوعات.

وبهذا أظن أني – بحمد الله وتوفيقه ومنه– بلغت مرادي وكان بعد جهد من النظر فيما كُتب حول بيان مراد الله من كتب التفاسير عظيمة النظر الشاق ﷺ جميعا ورحم كل المشتغلين بكتاب الله وفهم معانيه.

هذا وحسبي أني اجتهدت، فإن كان تقصير فمني ومن الشيطان، والله من وراء القصد.

مدخل

صلاح البال من سنن المقامات النبيلة المذكورة في القرآن الكريم، والتي تأخذ أشكالا عديدة، منها ما صرح بها بطريق مباشرة، ومنها تدل عليها بطريق غير مباشر. وقبل البدء علينا أن نلقي نظرة حول المعنىٰ المعجمي واستعمال العرب لمفردات هذا التركيب؛ لنتبين من خلال هذا العرض دقيق الاستعمال لتلك المادة؛ ولكي يساعدنا علىٰ فهم السياق التي وردت فيه:

أولًا: معنى صلاح في اللغة:

تدور مادة (صلح) في كلام العرب بين استعمالات متعددة، منها: الإقامة والتقويم، والإحسان، والسلم والمسالمة، والمصافاة، والتهيئة، والتوفيق، والفوز، والتعارف والاتفاق، والتعهد، وزوال الخلاف، والكثرة. وهي في أصل وضعها ترجع إلىٰ أصل واحد وهو ضد الفساد (١)، ونقيض الطلاح، والطلاح مجاز في الفساد (٢).

جاء في كتاب العين: (الصَلاحُ: نقيض الطلاح) (٣)، والطلاح مجاز في الفساد:(ومن المجاز: طَلَح فلانٌ: فَسَدَ. وهو طالِحٌ بَيِّنُ الطَّلَاَح: ضِدّ الصّلاحِ. وقال بعضهم: رجلٌ طالِحٌ: أَي فاسدٌ لا خَيْرَ فيه) (٤).

---

(١) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ٢٩٣، ط/ مؤسسة الرسالة-بيروت، بدون تاريخ.

(٢) كتاب العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ٣/ ١١٧، ط/ دار ومكتبة الهلال، تح: د مهدي المخزومي / د إبراهيم السامرائي، وينظر: المحيط في اللغة، للصاحب ابن عباد، ٢/ ٤٥٩ ط/ عالم الكتب- بيروت/ لبنان، ط/ ١، ١٩٩٤م، تح:الشيخ/ محمد حسن آل ياسين، و تاج العروس من جواهر القاموس، للزبيدي، ٦/ ٥٨٤، ط/ دار الهداية، تح:مجموعة من المحققين.

(٣) كتاب العين، ٣/ ١١٧.

(٤) تاج العروس من جواهر القاموس، ٦/ ٥٨٤.

وأصل المادة معنىٰ واحد وهو خلاف الفساد[١]، ولعل باقي ما ورد من استعمالات الكلمة مجاز في استعمال العرب[٢]، ويأتي متعديا ولازما: (صَلَحَ كمَنَعَ وكَرُمَ) [٣].

جاء في معنى الإقامة: (أَصْلَح الشيءَ بعد فساده: أَقامه) [٤]، ومنه (وسعىٰ في إصلاح ذات البين) [٥]، وأما التقويم، فقد جاء في الأساس: (وأمر الله تعالىٰ ونهىٰ لاستصلاح العباد)، وهذا المعنىٰ مهم جدا عليه مدار البحث، ويحسن أن يضاف إليهما معاني: المعالجة والتهذيب.

وفي معنى الإحسان والتعهد: (وأَصْلَحَ إِلىٰ دابَّته: أَحْسَنَ إِليها وتَعَهَّدَها.) [٦]

وفي معنى السلم والمسالمة والمصافاة: (والصُّلْحُ: تَصالُح القوم بينهم، والصُّلْحُ: السِّلْم) [٧]، وجاء: (صالحه: مصالحة وصلاحا: سالمه وصافاه، ويقال صالحه علىٰ الشيء سلك معه مسلك المسالمة في الاتفاق) [٨].

---

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس٣/ ٣٠٣، ط/ دار الجيل-بيروت-لبنان١٩٩٩م، ط/ ٢، تح: عبد السلام محمد هارون.

(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس، ٦/ ٥٨٤.

(٣) القاموس المحيط، ٢٩٣.

(٤) لسان العرب، لابن منظور، ٢/ ٥١٦، ط/ دار صادر-بيروت، ط١، بدون تاريخ، وتاج العروس، ٦/ ٥٤٨.

(٥) أساس البلاغة، للزمخشري، ٢/ ١٩، ط/ ، دار الفكر-١٣٩٩ ١٩٧٩ -هم.

(٦) تاج العروس، ٦/ ٥٤٨، وينظر: لسان العرب، ٢/ ٥١٦

(٧) لسان العرب، ٢/ ٥١٦، وينظر: القاموس المحيط، ٢٩٣، والمخصص لابن سيده، ٣/ ٣٧٩، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط١، ١٩٩٦م، تح:خليل إبراهم جفال.

(٨) المعجم الوسيط، ١/ ٥٢٠، ط/ دار الدعوة، تح: مجمع اللغة العربية، بدون تاريخ.

ويكون الصلاح في النفس وفي الغير: (ورجل صالح في دينه ونفسه) (١)، وجاء أيضًا:(ورجل صالح في نفسه من قوم صُلَحاء، ومُصْلِح في أَعماله وأُموره، وقد أَصْلَحه الله) (٢)

وفي معنى التهيئة: (ابن الأعرابي: أصلحْتُ الأمر – هيأْتُه) (٣)، وجاء: ((استصلح) الشيء تهيأ للصلاح، والشيء أصلحه، وطلب إصلاحه، وعده صالحا)(٤).

وفي معنى التوفيق: ((الصُّلْحُ) اسم منه، وهو التوفيق، ومنه (صُلْحُ الحُدَيْبِيَةِ))(٥)

وفي معنى الفوز: (ورجل صالح في نفسه من قوم صُلَحاءَ وصالِحينَ. وقوله ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ [سورة البقرة:١٣٠]، أراد الفائزين، لأن الصالحَ في الآخرة إنما هو الفائز.) (٦)

وفي معنى التعارف والاتفاق: ((اصطلح) القوم...، وعلىٰ الأمر تعارفوا عليه واتفقوا) (٧)

---

(١) المخصص، لابن سيده، ٣/ ٣٧٩.

(٢) لسان العرب، ٢/ ٥١٦، وينظر:تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ٤/ ١٤٢، ط/ دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط/ ١، ٢٠٠١م، تح: محمد عوض مرعب.

(٣) المخصص، ٣/ ٣٧٩.

(٤) المعجم الوسيط، ١/ ٥٢٠.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ١/ ٣٤٥ ، ط/ المكتبة العلمية- بيروت، بدون تاريخ.

(٦) المحكم والمحيط الأعظم، ١/ ٤٦٤.

(٧) المعجم الوسيط، ١/ ٥٢٠.

وفي معنى زوال الخلاف: ((اصطلح) القوم زال ما بينهم من خلاف) (١)

وجاء في معنى الكثرة: (وربما كنوا بالصَّالحِ عن الشيء الذي هو إلىٰ الكثرة كقول يعقوب: مغرت في الأرض مغرة من مطر وهي مطرة صالحةٌ، وكقول بعض النحويين، أراه ابن جني: وقد أبدلت التاء من الواو إبدالا صالحا. وكقول الزجاج في قوله تعالىٰ: ﴿ فَأَسۡرِ بِأَهۡلِكَ بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ ﴾ ، أي: بعد ما مضىٰ شيء صالحٌ منه، فاستعمله في الزمان.) (٢) أي: زمن طويل.

وكل هذه المعاني صالحة الاستعمال في معنى الآيات قيد الدراسة.

وفي القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وردت المادة بمفاهيم لم تخرج من تلك المعاني السابقة.

حيث جاء: (وقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجۡرَ ٱلۡمُصۡلِحِينَ﴾ [سورة الأعراف:١٧٠]، المُصْلحُ، المقيم علىٰ الإيمان المؤدي فرائضه اعتقادا وعملا. وقد أَصْلَحه الله.) (٣)

وفي الحديث: (أعوذ بنور وجهك الكريم الذي أضاءت له السماوات وأشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة) (٤) وهو ضد الفساد.

وجاء في تهذيب الأسماء: (الصالح هو الذي يؤدي إلىٰ الله ﷻ ما افترض عليه ويؤدي إلىٰ الناس حقوقهم، هذا قول الزجاج. وكذا قال صاحب مطالع الأنوار: الرجل الصالح هو المقيم بما يلزمه من حقوق الله ﷻ وحقوق الناس.)(٥)

---

(١) المعجم الوسيط ـ ١/ ٥٢٠.

(٢) المحكم والمحيط الأعظم، ١/ ٤٦٤، وينظر: لسان العرب، ٢/ ٥١٦.

(٣) جمهرة اللغة، ١/ ٢٧٩.

(٤) التنوير شرح الجامع الصغير، للصنعاني، ٣/ ١٢١، ط/ دار السلام، الرياض، ط١، ٢٠١١ م، تح:د/ محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم

(٥) تهذيب الأسماء، ١١٩٨.

الفرق بين (أصلح) و (أفلح):

ترىٰ الآيات قيد الدراسة آثرت (أصلح) عن (أفلح)؛ لأن لكلٍ دلالة لا تصلح للآخر، فقد جاء في الفروق بين الصلاح والفلاح[1]: أن الصلاح: ما يتمكن به من الخير، أو يتخلص به من الشر. والفلاح: نيل الخير، والنفع الباقي أثره.

ويقال أيضا لكل من عقل وحزم وتكاملت فيه خلال الخير: قد أفلح، ولا يقال صلح إلا إذا تغير إلىٰ استقامة الحال.

والفلاح لا يفيد التغيير، ويجوز أن يقال: الصلاح وضع الشيء علىٰ صفة ينتفع به، سواء انتفع أو لا. ولهذا يقال: أصلحنا أمر فلان، فلم ينتفع بذلك، فهو كالنفع، في أنه يجوز أن لا ينتفع به.

إذن الإصلاح: حركة تقريب وإبعاد: تقريب للخير وإبعاد للشر، والفلاح: حركة تقريب وإنتاج للخير والبر فقط، والإصلاح يحتاج إلىٰ تقويم واستقامة، بخلاف الفلاح، فقد لا يحتاج إلىٰ ذلك.

(١) الفروق اللغوية، لأبي هلال العسكري، ٣٢١، ط/ مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢ هـ.

ثانيًا: معنى البال في اللغة:

الباء والحرف المعتل واللام لها استعمالات عدة عند العرب، ولها أصلان، ورد في مقاييس اللغة: (الباء والواو واللام أصلان: أحدهما ماءٌ يتحلَّب، والثاني الرُّوع.)(١)، والمراد هنا الأصل الثاني.

وتدور المادة حول معان كثيرة منها:

الروع، والحال والشأن، والنفس، والقلب، والخاطر، وعدم الاكتراث، والرخاء والنعومة والسعة، وهدوء النفس، والكره، والمباراه، والجلال والخطر، والمفاخرة والمناقصة، والشريف الذي يحتفل ويهتم به، والرائحة، وتقع في الخير والشر والصبر.

فأمّا الروع ما ذكره ابن فارس في معجم مقاييس اللغة، قال ابن فارس:(وأما الأصل الثاني فالبَال: بالُ النفس. ويقال ما خَطَر بِبالي، أي ما أُلْقِيَ في رُوعي. فإنْ قال قائل: فإنَّ الخليلَ ذكَرَ أنّ بال النَّفْس هو الاكتراث، ومنه اشتقَّ ما باليتُ، ولم يخْطُر ببالي. قيل له: هو المعنىٰ الذي ذكرناه، ومعنىٰ الاكتراث أن يَكْرُثَه ما وقعَ في نفسه، فهو راجعٌ إلىٰ ما قلناه. والمصدر البَالَةُ والمبالاةُ) (٢).

والروع يبدو لكل متأمل أنه نقيض أو بعيد عن المعاني التي تدور حولها تلك المادة – علىٰ ما سيأتي- لكن البال موصوف يكثر وصفه بأشياء كثيرة منها راحة البال وسوء الحال، ولعله من الأضداد، وما جاء في معنىٰ الروع يضيف إلينا معان جليلة تكشف عن هذا الغموض، قال ابن فارس: (الراء والواو والعين أصلٌ واحد يدلُّ علىٰ فزَع، أو مُستَقَرِّ فزَع) (٣)، فلا مانع من أن البال هو مستقر الشيء أو الشيء نفسه،

---

(١) معجم مقاييس اللغة، ١/ ٣٢١.

(٢) معجم مقاييس اللغة، ١/ ٣٢١.

(٣) معجم مقاييس اللغة، ٢/ ٤٥٩.

والروع من عموم الأوصاف التي تكون في النفس أو القلب ويوصف بها حال المرء، قال تعالىٰ: ﴿ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَٰهِيمَ ٱلرَّوْعُ ﴾ [سورة هود: ٧٤].

وأما ما جاء في معنىٰ الحال والشأن: (والبَالُ: الحالُ) (١)، وجاء: (البال: الحال والشأن) (٢)، وجاء: (والبالُ: الحالُ التي تَكْتَرِثُ بها، ولذلك يُقال: ما بالَيتُ بكذا بالَةً: أي: ما اكْتَرثتُ به) (٣)

وما جاء في معنىٰ النفس والخاطر والاكتراث: (والبَالُ: بالُ النَّفْسِ. وهو الاكْتِرَاثُ) (٤)، ولم يبال: لم يكترث(٥)، والبال:(هو الاكتراث، ومنه اشتق باليَتْ، ولم يَخْطُر ببالي ذلك الأمر، أَي: لم يَكْرِثْني، ويقال: ما يَخْطِرُ فلان ببالي، وقولهم: ليس هذا من بالي، أَي: مما أُباليه، والمصدر البالَةُ، ومن كلام الحسن: لم يُبالِهم اللهُ بالَةً، ويقال: لم أُبالِ، ولم أُبَلْ علىٰ القصر، وقول زهير:

لقـــد باليْـــتُ مَظْعَـــنَ أُمِّ أَوْفَـــىٰ ولكـــنْ أُمُّ أَوْفَـــىٰ لا تُبَـــالي) (٦)

(١) المحيط في اللغة، ١٠/ ٣٥٥.

(٢) لسان العرب، ١١/ ٧٣، المعجم الوسيط، ١/ ٧٧، تهذيب اللغة، ١٥/ ٢٨١.

(٣) تاج العروس، ٢٨/ ١٢٤.

(٤) المحيط في اللغة، ١٠/ ٣٥٥، تهذيب اللغة، ١٥/ ٢٨٢.

(٥) اكترث: من الكارثة، وهي النازلة الشديدة والمصائب، والقلق: ((كرثه) الأمر وغيره كرثا: اشتد عليه، وبلغ منه المشقة فهو كارث، (اكترث) له: حزن، ويقال ما أكترث له ما أبالي به، وأراك لا تكترث لذلك: لا تتحرك ولا تعبأ به، ولا يكاد يستعمل إلا مع النفي، (الكارثة) : النازلة العظيمة والشدة (ج) كوارث، ويقال كرثته الكوارث: أقلقته) . المعجم الوسيط، ٢/ ٧٨٢.

(٦) لسان العرب، ١١/ ٧٣.

والاكتراث: يعني الاهتمام، (وبالىٰ بالشيء، إذا اهْتَمّ به) (١).وجاء أيضا: (يُعَبَّر بالبالِ عن الحالِ الذي يَنْطَوِي عليه الإنسانُ، وهو الخاطِرُ فيُقال: ما خَطر كذا *! – ببالِي: أي خاطِرِي) (٢).

وجاء أيضًا:(ومن أَسْماء النفس: البالُ، والبالُ: بال النفس)(٣).

وما جاء في معنىٰ القلب: (البَالُ: القلب، وخطر بِبَالِي أي: بقلبي) (٤)، وجاء: (قال المُفَضَّلُ: البالُ: القَلْبُ، قال امرُؤ القَيس:

وعادَيْتُ مِنْه بَين ثَوْرٍ ونَعْجَةٍ وكان عِداءُ الوَحْشِ مِنِّي علىٰ بالِ) (٥)

وما جاء في معنىٰ الأمل والرخاء والنعومة والسعة:(والبَالُ: رَخَاءُ العَيْشِ، وهورَخِيُّ البَالِ)(٦)، وجاء:(وهو رخيّ البال، أي: واسع الحال) (٧). قال ابن منظور: (والبالُ: الأَمَل، يقال فلان كاسِفُ البال، وكُسُوف باله أَن يضيق عليه أَمله، وهو رَخِيُّ البال، إِذا لم يشتد عليه الأَمر، ولم يَكْتَرِثْ) (٨).

وما جاء في معنىٰ هدوء النفس والخاطر: (ويقال: فلان رخي البال، وناعم البال: موفور العيش، هادئ النفس، والخاطر) (٩)

---

(١) تهذيب اللغة، ١٥/ ٢٨١.

(٢) تاج العروس، ٢٨/ ١٢٤.

(٣) لسان العرب ١١/ ٧٣، تهذيب اللغة، ١٥/ ٢٨٢.

(٤) المصباح المنير ١/ ٦٦.

(٥) تاج العروس من جواهر القاموس، ٢٨/ ١٢٤.

(٦) المحيط في اللغة، ١٠/ ٣٥٥.

(٧) المصباح المنير، ١/ ٦٦.

(٨) تهذيب اللغة، ١٥/ ٢٨٢، لسان العرب ١١/ ٧٣.

(٩) المعجم الوسيط ١/ ٧٧، لسان العرب، ١١/ ٧٣.

وما جاء في معنىٰ الكره: يقال: (بالَيْتُ: كَرِهت، ولا تُبَالي: لا تَكْرَه، وفي الحديث:" أَخْرَجَ من صُلْب آدم ذُرِّيّة، فقال هؤلاء في الجنة، ولا أُبالي، ثم أَخرج ذُرِّيّة، فقال هؤلاء في النار، ولا أُبالي"، أَي: لا أَكره.) (١)

وما جاء في معنىٰ المباراه: (وهما يَتباليان، أَي: يَتَبارَيان، قال الجعدي:

وتَبَالَيا في الشَّدِّ أَيَّ تَبَالي

وقول الشاعر:

مـــا لـــي أَراك قائمـــاً تُبَـــالي وأَنْـــتَ قـــدْ مُـــتَّ مـــن الهُـــزالِ ؟

قال: تُبالي: تَنْظُر أَيُّهم أَحْسَنُ بالاً، وأَنت هالك). (٢)

وما جاء في معنىٰ الجلال والخطر:(وأَمْرٌ ذُوْ بالٍ: أي ذو جَلاَلٍ وخَطَرٍ) (٣)

وما جاء في معنىٰ المفاخرة والمناقصة: (بالَىٰ فلانٌ فلانـًا، إذا فاخَره.وبالاَه، إذا نَاقَصَه). (٤)

وما جاء في معنىٰ الشريف الذي يحتفل ويهتم به: (يقال: أمر ذو بال شريف يحتفل له، ويهتم به) (٥)، وجاء: (وبالىٰ بالشيء، إذا اهْتَمّ به.) (٦)، وجاء: (بال الرَّجُل يَبُول بَوْلاً شريفـًا فاخراً، إذا وُلد له ولدٌ يُشْبهه) (٧).

وما جاء في معنىٰ الرائحة: (. والبَالَةُ: الرّائِحَةُ، غَيْرُ مَهْمُوْزَةٍ) (٨)

---

(١) لسان العرب، ١١/ ٧٣.

(٢) لسان العرب، ١١/ ٧٣.

(٣) المحيط في اللغة، ١٠/ ٣٥٥.

(٤) تهذيب اللغة، ١٥/ ٢٨١.

(٥) تاج العروس، ٢٨/ ١٢٤، وينظر: المعجم الوسيط، ١/ ٧٧.

(٦) تهذيب اللغة، ١٥/ ٢٨١.

(٧) تهذيب اللغة، ١٥/ ٢٨١.

(٨) المحيط في اللغة، ١٠/ ٣٥٥.

وتقع الكلمة في الخير والشر والصبر: جاء: (يقال: المُبالاة في الخير والشر، وتكون المُبالاة الصَّبْرَ، وذكر الجوهري: ما أُباليه بالَةً، في المعتل، قال ابن بري: والبال: المُبالاة، قال ابن أَحمر:

أَغَـــدْواً واعَـــدَ الحَـــيُّ الزِّيـــالا وسَـوْقًا لـم يُبـالوا العَـيْنَ بـالا ؟) (١)

(ويقال: هو كاسِفُ! البالِ: أي سَيِّئ الحالِ، قال امرُؤ القَيس:

فأصْـبَحْتُ مَعشُـوقًا وأصـبحَ بَعْلُهـا عليهِ القَتامُ كاسِفَ الظَّنِّ، والبالِ) (٢)

وجاء في تعريف البال: (انجلاء القلب، وتنويره بالعلوم والمعارف) (٣).

وفي الكليات: (البال: الحال والشأن والقلب، وأمر ذو بال أي: شرف يهتم به، كأن الأمر لشرفه وعظمه قد ملك قلب صاحبه لاشتغاله به) (٤).

(صلاح البال) في السنة:

وردت كلمة (بال) في السنة كثيرًا وهي كلمة ضمن تركيب اشتهر للتمثيل عموما في كلام النبي – ﷺ- جملة من أدب الحوار؛ لئلا يجرح المختصين بالمواقف المسوق لها الكلام، (كان النبي -صلىٰ الله عليه و سلم- لا يواجههم بصريح القول فيقول: فلان منافق، وإنما كان يشير إشارة كقوله- صلىٰ الله عليه و سلم-:" ما بال

---

(١) لسان العرب، ١١/ ٧٣.

(٢) تاج العروس، ٢٨/ ١٢٤.

(٣) دستور العلماء، أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري ١/ ١٥٤، ط/ دار الكتب العلمية-لبنان/ بيروت، ط١، ١٤٢١ ٢٠٠٠-هم، تعريب: حسن هاني فحص.

(٤) كتاب الكليات، لأبىٰ البقاء الكفوي، ٣٧٢، ط/ مؤسسة الرسالة-بيروت-١٤١٩ ١٩٩٨-هم، تح:د.عدنان درويش، وأ/ محمد المصري.

أقوام يفعلون كذا "، والله أعلم)[١]، وذلك مثل قوله: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَشْتَرِطُونَ شُرُوطًا، لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ مَنِ اشْتَرَطَ شَرْطًا لَيْسَ فِي كِتَابِ اللهِ، فَلَيْسَ لَهُ، وَإِنِ اشْتَرَطَ مِائَةَ مَرَّةٍ»[٢]. وهذا التركيب (ما بال) من تراكيب القرآن الكريم أيضًا.

أمّا صلاح البال، فقد ورد صراحة في تعليم النبي – ﷺ–المسلمين إجابة العاطس، ولم تخرج كلمة(البال) عن معناه اللغوي، جاء في تحفة الأحوذي: (وليقل هو) أي العاطس: (يهديكم الله ويصلح بالكم) البال: القلب، يقول فلان: ما يخطر ببالي، أي: قلبي، والبال رخاء العيش، يقال: فلان رخي البال، أي: واسع العيش، والبال: الحال، يقول: ما بالك؟ أي: حالك، والبال في الحديث يحتمل المعاني الثلاثة، والأولىٰ أن الحمل علىٰ المعنىٰ الثالث أنسب؛ لعمومه المعنيين الأوليين أيضا، كذا في المفاتيح، وروىٰ البخاري في صحيحه عن أبي هريرة مرفوعا: "إذا عطس أحدكم فليقل:" الحمد لله"، وليقل له أخوه أو صاحبه: "يرحمك الله، فإذا قال له: "يرحمك الله"، فليقل: "يهديكم الله ويصلح بالكم".)[٣].

وهذا من تعاليم الإسلام وآدابه في خطاب الخلق بعضها ببعض، فإن كان دعاء بالخير شمل غير المسلمين، وإن كان دعاء خاصا بالرحمة خص به المسلمين وهو دعاء مسوق بالبشارة العظيمة بحصول الرحمة لأحدهما في المستقبل والهداية

---

(١) شرح النووي علىٰ مسلم ٢/ ٤٨. دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢ هـ.

(٢) صحيح البخاري ١/ ٩٨، ط/ دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢ هـ، تح: محمد زهير بن ناصر الناصر، وينظر:صحيح مسلم، ٢/ ١١٤١،، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، تح: محمد فؤاد عبد الباقي

(٣) تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ٨/ ١٢، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ.

وصلاح الفكر والعقل والحال للآخر؛ فهو دعاء له بخير الدارين وسعادة المنزلتين، وذلك من باب قوله تعالىٰ: (وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا) [النساء: ٨٦].) (١).

ومن عطاءات الحديث سوق الطمع لغير المسلمين بهذا الخطاب القويم، بدخولهم في هداية الله وإصلاحه لمن يلين بالاتباع لدين الإسلام من رب السلام، ففي الأمر رحمة ومتسع.

ومجيء التركيب (يهديكم الله، ويصلح بالكم)علىٰ هذا النسق يحكم المطابقة النصية لما ورد في القرآن الكريم في حق المقاتلين في سبيل الله: "سيهديهم ويصلح بالهم". ولا نخوض في أسبقية التركيب أهو نبوي أم قرآني؛ غير أنه جاء تيمنًا مع دعاء القرآن؛ لعظيم المصلحة المرجوة من مجموع الهداية والصلاح للعباد.

من خلال العرض السابق لاستعمالات العرب لمادتي: (صلح، وبال) في اللغة نجد أن المعاني المحيطة بالمادتين في الاستعمال قريبة المناسبة والصلة في الاستعمال القرآني حيث يرتكز معنىٰ الإصلاح علىٰ الإقامة والتقويم، واستقامة الحال، وضد الفساد، أما البال فيرتكز علىٰ الحال والشأن والفكر والقلب، وتلك منغصات الإنسان ومحيط انشغالاته الدنيوية، وكذلك الأخروية المتعلق بالمصير.

(١) إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، شرح القسطلاني، ٩/ ١٢٨، ط/ المطبعة الكبرىٰ الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣ هـ.

ثالثًا: أسباب نزول سورة محمد ﷺ:

سورة محمد ﷺ، وتسمىٰ سورة القتال(١)، وسورة الذين كفروا، وآياتها مدينة كلها عند الأكثرين، بلا استثناء (٢)، علىٰ الأصح، ولا إجماع فيه(٣)، وعن ابن عباس وقتادة أنها مدنية ماعدا آية نزلت بعد حجة الوداع، حيث خرج النبيّ ﷺ من مكة، وجعل ينظر إلىٰ البيت، فنزلت: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ ﴾ [سورة محمد:١٣]، ومن فضائل السورة أن النبي –صلىٰ الله عليه وسلم– كان يقرأها في صلاة المغرب(٤). وقال الزمخشري: (عن رسول الله ﷺ: "من قرأ سورة محمد–ﷺ –كان حقا عليه أن يسقيه الله من أنهار الجنة") (٥).

وجاء في أسباب نزول أول السورة الكريمة: (عن عبد الله بن عباس –رضي الله عنهما–؛ قال: نزلت في أهل مكة: ﴿ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُوا۟ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ }

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور٢٥/ ٧١، ط/ الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

(٢) ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ج٨/ ص ٧٣، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط١، ١٩٩٣م، تح: نخبة من الأساتذة، وروح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، الآلوسي، ج٢٦/ ص ٣٦، ط/ دار إحياء التراث، بدون تاريخ.

(٣) حاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي، شهاب الدين الخفاجي، ج٨/ ٤٨٦، ط/ دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م، تح: الشيخ: عبد الرازق المهدي.

(٤) ينظر:روح المعاني، الآلوسي، ج٢٦/ ص ٣٦.

(٥) الكشاف، للزمخشري، ٣/ ٥٤٠، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، تح:عبد الرزاق المهدي، وفي التعليق: أخرجه الثعلبي وابن مردويه والواحدي، بأسانيدهم إلىٰ أبي بن كعب.

[سورة محمد: ١-٢]، قال: الأنصار، ﴿ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢ ﴾ قال: أمرهم) [١] فالآية نزلت في الأنصار خاصة، وتصلح أن تكون خطابا للمؤمنين عامة حافزا لهم[٢]، وقيل الخطاب يعم المجاهدين والأنصار[٣]، وقيل: ناس من قريش، وقيل: مؤمنوا أهل الكتاب، وقيل: هو عام علىٰ تقدير خصوص السبب في القبيلتين، فاللفظ عام يتناول كل كافرٍ وكل مؤمن[٤].

وفي السورة آيتان منسوختان: (قال أبو عبد الله محمد بن حزم-رحمه الله تعالىٰ-: جميعها محكم إلا آية واحدة، وهي قوله تعالىٰ. ﴿ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً ﴾ [سورة محمد: ٤].

(فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً) نسخ المنّ والفداء بآية السيف، وقيل: في سورة محمد ﷺ آيتان منسوختان الثانية منهما: قوله تعالىٰ: ﴿ وَلَا يَسۡـَٔلۡكُمۡ أَمۡوَٰلَكُمۡ ۝٣٦ ﴾ [سورة محمد:٣٦].نسخت بقوله تعالىٰ:﴿ إِن يَسۡـَٔلۡكُمُوهَا فَيُحۡفِكُمۡ تَبۡخَلُواْ وَيُخۡرِجۡ أَضۡغَٰنَكُمۡ ۝٣٧ ﴾ [سورة محمد:٣٧]. والله أعلم) [٥]، وجاء: (زعم بَعْضُهُمْ أَنَّهَا

---

(١) الاستيعاب في بيان الأسباب، سليم بن عيد الهلالي، ومحمد بن موسىٰ آل نصر، ٣/ ٢١٧، ط/ دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط/ ١، ١٤٢٥ هـ، قال ابن عبد البر: وهذا إسناد ضعيف...، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه"،! ووافقه الذهبي.!!.

(٢) ينظر: روح المعاني، الآلوسي، ج٢٦/ ص ٣٧، قيل: هم أهل المدينة، الأنصار، وقيل: هم أعم من المذكورين وغيرهم، فإن الموصول من صيغ العموم، ولا داعي للتخصيص.

(٣) ينظر:أنوار القرآن وأسرار الفرقان، تفسير الملا علي القاري، ج٤/ ص٤٩٨، ط/ دار الكتب العلمية، تح:د/ ناحي السويد.

(٤) تفسير البحر المحيط، ج٨/ ص٧٣، وينظر: الكشاف ٣/ ٥٣٠.

(٥) تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، ٢٧/ ١٢١.

مَنْسُوخَةٌ بِآيَةِ الزَّكَاةِ، وَهَذَا بَاطِلٌ، لِأَنَّ الْمَعْنَىٰ: لا يَسْأَلْكُمْ جَمِيعَ أَمْوَالِكُمْ، (قَالَ السُّدِّيُّ) إِنْ يَسْأَلْكُمْ جَمِيعَ مَا فِي أَيْدِيكُمْ تَبْخَلُوا. وَزَعَمَ بَعْضُ الْمُغَفَّلِينَ مِنْ نَقَلَةِ التَّفْسِيرِ أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ بِقَوْلِهِ: (إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا)) (١).

رابعًا: موضوع السورة الكريمة (٢):

جاءت السورة بيانا لأحوال فريقين في هذه الحياة الإنسانية: الذين كفروا ومصيرهم وعاقبتهم، والذين آمنوا ومآلهم، وأسباب استحقاق ذلك في دنيا الفريقين وأخراهم، والمعول عليه، ومكافأة الفريقين علىٰ قدر أعمالهم، فالمتبع الحق مكافأته تكفير السيئات وإصلاح البال في الدنيا والنعيم في الآخرة، والمتبع الباطل جزاؤه إضلال الأعمال وإحباطها.

وفي المقابلة بين الفريقين واتصافهما بإتباع إحداهما (الحق)، والأخرىٰ بإتباع (الباطل) (٣) دلالة المفارقة المضادة الصريحة، والمراد بهما معناهما المشهور(٤)،

---

(١) ناسخ القرآن ومنسوخه، أبو الفرج الجوزي ٢/ ٥٨٦، تح: محمد أشرف علي المليباري ـ، ط/ عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ٢٠٠٣م.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٥/ ٧٢، وإيجاز البيان في سور القرآن، محمد علي الصابوني، ص١٩٤، ومابعدها، ط/ دار الصابوني، ط٢، ١٩٨٦م.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٥/ ٧٤.

(٤) قال الآلوسي: (والمراد بالحق والباطل معناهما المشهور، وأخرج ابن المنذر وغيره عن مجاهد تفسير (الباطل) بالشيطان، وفي البحر، قال مجاهد الباطل الشيطان وكل ما يأمر به، و(الحق) هو الرسول والشرع، وقيل: الباطل ما لا ينتفع به) . روح المعاني، الآلوسي، ج٢٦/ ص ٣٨.

وفي تقديم أوصاف الذين كفروا؛ تحفيز للمؤمنين للنيل من الصادّين عن دين الله وهم في مقتبل القتال والتلاحم معهم [١].

كما تحدثت السورة في مجملها عن الأعمال الصالحة المأمور اتباعها، وفلاح أصحابها، مثل: الإيمان بالله وبما نزل علىٰ محمد – ﷺ–والتقوىٰ، وتدبر القرآن، والجهاد، ونصر الله، والصدقة، وتحدثت أيضًا –في صورة مقابلات صريحة وأخرىٰ ضمنية–في الجانب المقابل عن الأعمال الفاسدة المأمور اجتنابها، وخسران أصحابها، مثل:(الصد عن سبيل الله، وعن الكفر والنفاق، وعن الإفساد في الأرض وقطيعة الرحم)[٢]، ووعد ووعيد هؤلاء وهؤلاء

والمقابلة [٣]من طرائق القرآن الكريم الصريحة، ومن طرائق العرب ومعهودها في الكلام؛ لبيان الفروقات والاختلافات، وكذلك للمبالغة و التمييز بين خصائص كلٍ، قال ابن المنيّر: (هذا المعنىٰ الثاني حسن متمكن مليء بمقابلة قوله:" وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ"، ثم قال:" كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بالَهُمْ "، وتحرير المقابلة بينهما أن الكفار ضلت أعمالهم الصالحة في جملة أعمالهم السيئة من الكفر والمعاصي، حتىٰ صار صالحهم مستهلكا في غمار سيئهم، ومقابله في المؤمنين ستر الله لأعمالهم السيئة في كنف أعمالهم الصالحة من الإيمان والطاعة، حتىٰ صار سيئهم مكفرا ممحقا في جنب صالح أعمالهم، وإلىٰ هذا التمثيل الحسن في عدم تقبل صالح

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٥/ ٧٢، وما بعدها.

(٢) الأساس في التفسير، سعيد حوّي، ج٩/ ص ٥٣٣٣، ط/ دار السلام ط٢، ١٩٨٩م.

(٣) المقابلة: (أن يؤتىٰ بمعنيين متوافقين أو معان متوافقة ثم بما يقابلهما أو يقابلها علىٰ الترتيب) الإيضاح في علوم البلاغة، للخطيب القزويني، ص٣٢٢، ط/ دار إحياء العلوم، ط٤، ١٩٩٨م.

الكفار والتجاوز عن سيئ أعمال المؤمنين وقعت الإشارة بقوله تعالىٰ: ﴿ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ۝٣﴾ [سورة محمد:٣] (١).

كما ساقت خبرا لملاقاة الفريق المضل في ساحة المعركة والتجهيز عليهم والتنكيل بهم بأيدي الفريق الثاني المتبع للحق، وبعض طرق القتال و آداب الحرب والتعامل مع الأسرىٰ، وجعل ذلك بلاء للمتبعين الحق ورفعة لمنزلتهم، وهو القادر علىٰ محو الضالين من غير قتال.

ومن هنا تفرعت مقاصد السورة وغاياتها، وبيان للناس أمثال هؤلاء وهؤلاء، والتي منها:

أولاً: بيان للناس أمثال الفريقين:

١-نهاية الذين كفروا بربهم واتباعهم الباطل ضلال الأعمال، وبيان خيبتهم وخسارتهم وضلالهم، وثواب الذين آمنوا بربهم واتباعهم للحق تكفير السيئات وإصلاح البال، وبيان فوزهم وسعادتهم ونجاتهم وفلاحهم(٢).

٢-التنكيل بالذين كفروا وضربهم من رقابهم، وتمكين المؤمنين منهم بالنظر في أسراهم إمّا منّا وإما فداء.

٣-الذين تعهدوا النصر وخاضوا الحروب وقُتلوا، مكافأتهم: لن يضل أعمالهم، والهداية وإصلاح البال، ودخولهم الجنة وتعريفها لهم.

ثانيًا: النصر والغلبة من الله معلق علىٰ الطاعة واتباع الحق ونصرته، والخيبة والخسارة والتعاسة لمن لا يلتزم به، وكما توعدهم بالتعاسة توعدهم بإضلال

---

(١) الكشاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير، ضمن تفسير الكشاف للزمخشري، ج٣/ ص٥٢٩.

(٢) ينظر: روح المعاني، الآلوسي، ج٢٦/ ص ٣٨.

الأعمال، بسبب كرههم ما أنزل الله وهو الحق، فتكون العاقبة إحباط أعمالهم؛ ذلك لأن (الكفر للأعمال محبط، والإيمان للتخليد في النار مسقط) (١).

ثالثًا: سوق العبرة وطلب النظر في عاقبة الأمم السابقة، وقدرة الله عليهم وإصابتهم بالتدمير. ووعيد الكافرين مشركي مكة بمثل ما أصيبوا به.

خطاب النبي-ﷺ-وتوجيه الاستدلال بأن القرىٰ السابقة التي هي أشد قوة من قريته التي أخرجته -ﷺ-أُهلكت وأُبيدت تماما ولم ينصرها أحد.

رابعًا: الولاية من الله في الدنيا للذين آمنوا، وفي الآخرة أعد لهم الجنة، والكافرين في الدنيا لا مولىٰ لهم، ولا أعمال تحتسب لهم فهم كالأنعام، وفي الآخرة النار لهم مستقر.

خامسًا: مقارنة بين الفريقين: من كان علىٰ بيّنة من ربه، وبين من زين لهم سوء أعماله، واتبعوا أهواءهم. والاستدلال بثواب هؤلاء من النعيم بعرض الشراب والطعام واللذة والمغفرة، وجزاء هؤلاء من العذاب والتنكيل والمعاناة الحسية.

سادسا: عرض لبعض أنماط الفريقين من حيث الاهتداء والاتباع وعدمه، الأول المتبع أهواءه، معاقبته بالختم علىٰ القلب لاتباعهم أهواءهم، والفريق الآخر المتبع مكافأتهم بزيادتهم الهدىٰ، وإتيانه م تقواهم.

سابعًا: الانتقال إلىٰ ذكر الساعة والتحذير من مباغتتها فقد ظهرت علاماتها، ويتعجب من شأن الغافل كيف بهم لو باغتتهم !!! ثم ينتقل الخطاب للنبي - ﷺ - للتوجه إلىٰ الله بتوحيده واستغفاره له وللمؤمنين، فالله يعلم المتقلب والمثوىٰ.

---

(١) ينظر:أنوار القرآن وأسرار الفرقان، تفسير الملا علي القاري الهروي، ٤/ ص٤٩٨، ط/ دار الكتب العلمية.

ثامنًا: يعرض موقفا تمني فيه المؤمنون إنزال سورة يأذن لهم فيها بالقتال، وعند إنزالها فإن المنافقين تقاعسوا وتولوا، فأولىٰ لهم الطاعة، ومن يصدق الله في نفسه كان خيرا له، لكنهم تولوا، فخاطبهم بأنه سيؤدي توليكم وعصيانكم إلىٰ الفساد في الأرض وتقطيع الأرحام، فهؤلاء لعنهم الله وكان جزاؤهم الصمم والعمىٰ. ثم حثهم علىٰ تدبر القرآن، لكن قلوبهم مقفلة، وارتدوا بعد ما ظهر لهم الحق، وسول لهم الشيطان وأمدهم بالأمل وانصاعوا وراءه.

وافتضاحهم لكرههم ما أنزل الله من القتال، واحتيالهم وتضامنهم مع الباطل، والله يعلم ما يسرونه وما يتآمرون عليه ضد المؤمنين. ويسوق الله آية تحكي التنكيل بهم من قبل جند الله ودعمهم لصفوف المؤمنين، وعلامة ذلك ضرب وجوههم وأدبارهم، استحقوا هذا التنكيل بسبب أمرين: اتباعهم ما أسخط الله، وكرههم رضوانه، ويجعل الله عاقبة ذلك إحباط أعمالهم. ويتوعدهم -واصفا إياهم بأنهم مرضىٰ القلوب -بأن الله قادر علىٰ إفضاحهم وإخراج ما قلوبهم من ضغينة، وإعلام حقيقتهم للنبي -ﷺ-فلهم دلائل وعلامات يعرفون بها عملا وقولا، والله يعلم جميع الأعمال.

تاسعا: خطاب المؤمنين، وبيان تزكيتهم، والتنبيه علىٰ ابتلائهم في القتال لمعرفة المجاهدين منهم والصابرين، وامتحان قدراتهم وأحوالهم.

عاشرا: بيان كل من خالف وصد عن سبيل الله وشاق الرسول من بعد ما ثبتت لهم الحجة وظهر لهم الحق، لن يضروا الله شيئا بكفرهم، وسيحبط أعمالهم جميعها. والذين آمنوا أمرهم بلزوم طاعة الله وطاعة رسوله، ونهاهم عن إبطال الأعمال الصالحة التي يقدمون عليها. والذين كفروا وماتوا وهم كفار لن يغفر لهم.

أحد عشر: خطاب المؤمنين ونهيهم عن المهانة وقبول المفاوضة ولهم الغلبة، والله معهم يتولاهم، ولن ينقصهم أعمالهم.

اثنا عشر: التنبيه علىٰ أن الحياة الدنيا لعب ولهو. فلا قيمة لها، والحث علىٰ الصدقة، وبيان أسباب السعادة فيها وهما سببان: الإيمان والتقوىٰ، فهما يكفلان الثواب العظيم والبركة فيه، ولا يسألكم جميع أموالكم، بل جزءا منها للزكاة ولتجهيز الجيش، وإن يسألكم بإلحاح تمتنعوا ويخرج أضغانكم وما تحملون من حب للمال. لكن الله لطيف بكم.

وتوجيه الخطاب للمؤمنين ببيان أنهم يدعون للإنفاق في سبيل الله، ومنهم من يغلبه طبعه وحبه للمال فيمتنع، ومن يبخل فإنما يمتنع عما أعده الله له من عظيم الثواب، وتقرير أن الله غني والناس جميعا هم الفقراء، والتنبيه علىٰ أنهم لو تولوا عن الإيمان بالله وامتثال أوامره ونصرته، فإن الله يستبدل قوما غيرهم، ولا يكونوا أمثالهم.

في النهاية السورة تعرض ثلاثة أنماط في زمن النبوة وحال إعلان الدعوة:

الذين كفروا ← الذين في قلوبهم مرض ← الذين آمنوا

بيّن الكفر وبيّن الإيمان، والذين في قلوبهم مرض بين هؤلاء وهؤلاء، وهم أعظم خطرا ممن هم علىٰ الكفر بيّني الكفر والضلال؛ لكونهم متسترين يحملون الغل والحقد والنفاق في قلوبهم للمؤمنين.

كما تعرض السورة الكريمة حظ كل فريق في الدنيا والآخرة وجزاءه ترهيبا وترغيبا، كما تعرض مشاهد غيبية محفزة وأخرىٰ منفرة، وتعرض لطرائق القتال، كما توجه السورة الحث علىٰ أمور وآداب عظيمة تتصل بنصرة الله في دينه والإلتزام بطاعته والثبات، والعظة والعبرة بالأمم البائدة، والتدبر، والصدقة، وتعرض التوعد والتهديد

في حالة عدم الإلتزام والطاعة والنصرة، وذلك بالاستبدال البشري المقيم علىٰ الطاعة التامة.

ويتنوع الخطاب في السورة الكريمة حيث يأخذ أشكالا عديدة:

١- يبدأ بخطاب الله للذين آمنوا المقاتلين المجاهدين في سبيله: (فإذا لقيتم).

٢- خطابه الذين آمنوا في مقام التحلي بنصر الله للفوز بالنصر والتثبيت.

٣- خطابه النبي -صلىٰ الله عليه وسلم-في مقام القدرة علىٰ هلاك من أخرجوه من قريته.

٤- خطابه النبي -صلىٰ الله عليه وسلم-لبيان وافتضاح المنافقين.

٥- خطابه النبي -صلىٰ الله عليه وسلم-والأمر بالاستغفار.

٦- خطابه النبي -صلىٰ الله عليه وسلم-لبيان حال المنافقين عند صدور القتال.

٧- خطابه المنافقين الذين تقاعسوا وتولوا.

٨- خطاب المنافقين بعضهم البعض.

٩- خطابه النبي -صلىٰ الله عليه وسلم-وبيان حال المنافقين وأقوالهم.

١٠- خطابه للذين آمنوا وبيان ابتلائهم بالقتال، ومعرفة صدق إيمانهم.

١١- خطابه للذين آمنوا وأمرهم بالطاعة.

١٢- خطابه للذين آمنوا ونهيهم عن قبول الصلح وهم منتصرون.

١٣- خطابه للذين آمنوا والأمر بالصدقة وتجهيز الجيش.

وخير ما يلفت في هذا أو ذاك – في تلك السورة – موضعين متفردين في القرآن كله: أصلح بالهم ← يصلح بالهم

وهذا هو موضوع البحث. وما يتصل بهما أيضًا في ذات السورة موضعين أيضًا:

أن لن يخرج أضغانهم ← ويخرج أضغانكم

ومن المجمل اللافت في السورة -أيضًا -الترتيب العجيب للأحداث، وتكرار الأنماط، وتكرار أحوالهم وما يتعلق بهم علىٰ ما ذكرنا في أنماط الخطاب وأطواره في السورة.

والمتدبر في آيات القرآن يجد أن هذين الموضعين من المواضع المتفردة، لا سيما وردت كلمة (البال) في مواضع أخرىٰ من آيات القرآن، وسنبينه فيما يأتي علىٰ التفصيل:

مواضع ورود (البال) في القرآن الكريم:

وردت كلمة (البال) في القرآن الكريم في أربعة مواضع:

١-**الموضع الأول:** ورد ببيان سيدنا يوسف - عليه السلام -مخاطبا رسول الملك، قال تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱلۡمَلِكُ ٱئۡتُونِي بِهِۦۖ فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرۡجِعۡ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسۡـَٔلۡهُ مَا بَالُ ٱلنِّسۡوَةِ ٱلَّٰتِي قَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيۡدِهِنَّ عَلِيمٞ ٥٠﴾ [يوسف: ٥٠] جاء في تفسير الآية: ("ما بال النسوة" ما حالهنَّ وشأنهنَّ؛ ليعلم صحَّة براءتي ممَّا قُذفت به) (١). ولا شيء في هذا الموضع مما يتناوله البحث هنا غير التنويه بذكر البال في معناه اللغوي لا تعدو معنىٰ الحال والشأن.

٢-**كذلك الموضع الثاني:** ورد علىٰ لسان فرعون مخاطبًا سيدنا موسىٰ - عليه السلام -قال تعالىٰ: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ ٥١﴾ [طه: ٥١] جاء في تفسير الآية: (فَسَأَلَ: مَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ؟ مَا شَأْنُهُمْ وَمَا الْخَبَرُ عَنْهُمْ؟ وَهُوَ سُؤَالُ تَعْجِيزٍ

(١) الوجيز للواحدي، ٥٤٩، وينظر: تفسير القرطبي، ٩/ ٢٠٦، ط/ دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢ - ١٩٦٤ م، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

وَتَشْغِيبٍ) [١] وهذا الخطاب خطاب تعجيز لسيدنا موسىٰ -عليه السلام- اختبار منه في علمه، فردّ عليه -عليه السلام- بما يسكته ويخرسه ويلزمه الحجة: ﴿قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي فِي كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى ۝٥٢﴾[طه: ٥٢]. وهذا الموضع أيضًا لا يعدو معنىٰ البال في اللغة.

٣- **الموضع الثالث:** قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢﴾ [محمد: ٢].

٤- **الموضع الرابع:** قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّواْ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ ۖ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَاْ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ [سورة محمد: ٤-٦].

وستتناول الدراسة الموضعين الأخيرين الواردين في سورة محمدﷺ، لما اقترنتا بالإصلاح، علىٰ ما سيأتي بعون الله ومنّه، وبالله التوفيق.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦/ ٢٣٤.

المبحث الأول: الإعجاز القرآني في الموضع الأول:

﴿ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ﴾

الشاهد: قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢﴾ [محمد: ٢].

جاء التعبير في تلك الآية الكريمة بإصلاح بال (الذين آمنوا) - مضافًا إليه تكفير السيئات- علىٰ تحقق ثلاثة أمور:

١-الإيمان مطلقًا.

٢-عمل الصالحات.

٣-الإيمان بما نزل علىٰ محمد -ﷺ-.

وقوله: (وَالَّذِينَ آمَنُوا) يتضمن جميع وجوه الإيمان بدءا من الإيمان بالله-سبحانه-وبالملائكة، وكتب الله، ورسله، واليوم الآخر، والقدر، كما دلت علىٰ بعض أصوله الآية الكريمة: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وكما جاء جميعها في حديث جبريل عليه السلام: (الإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْقَدَرِ كُلِّهِ خَيْرِهِ وشره)[(١)]؛ لذا جاء حذف متعلق الصلة لعموم[(٢)] أصول الإيمان وشموله.

---

(١) مجموع فيه مصنفات أبي جعفر ابن البختري، ٤٥٣.

(٢) العموم: هو ما تناول جميع الأفراد واستغرقها، إرشاد الفحول، للشوكاني، ١/ ٥٢، ط/ دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩٩م، تح: أحمد عزو عناية.

وإيثار التعبير بجملة الصلة في كلٍ: (الذين آمنوا...، والذين آمنوا... بما نزّل...)، لبيان ما يعرف به الاسم الموصول، وإزالة الإبهام عنه بتحديد ما يميّزه عن غيره مما هو جدير بما يوصف به من صلة، أيضًا: (اختصاص للإيمان بالمنزل علىٰ رسول الله -ﷺ من بين ما يجب به الإيمان تعظيما لشأنه وتعليما؛ لأنه لا يصح الإيمان ولا يتم إلا به)(١).

وعبر بالجمع في قوله: (وعملوا الصالحات) بدلا من قوله: (الصالحة)؛ للدلالة علىٰ تعدد وجوه الأعمال الصالحة ويسرها وقربها للمرء، وجاءت كلمة (الصالحات)عامة فلم تخصص بعمل من الأعمال؛ ليشملها دون تحديد.

وخص الخطاب في الآية الكريمة الرجال دون النساء، وهنّ في الخطاب ضمنا؛ لبيان استقبال الخطاب القرآني للجنس البشري من المعوّل عليهم في الإصلاح والمسئولية، والنساء لهم تبع، وفي ذلك حكمة لتأسيس الخطاب القرآني علىٰ بناء المعول عليه في الأمور العظيمة، وهذا هو دأب القرآن في كل مقام ومساق.

وعطف قوله: ﴿وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ﴾ علىٰ (الذين آمنوا) من عطف الخاص علىٰ العام، وجاءت الصلة (بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ) عامةً دون تحديد لنوع المُنزّل عليه-ﷺ-؛ لعموم مطلق الإيمان بجميع ما أنزل عليه - ﷺ-وشموله، وتخصيصه من بين ما يجب الإيمان به تعظيم لشأن الرسول-ﷺ، وإعلام بأنه لا يصح الإيمان، ولا يتم إلا به، وأكّد ذلك بالجملة الاعتراضية(٢)التي هي: (وهو الحق من ربهم).)(٣).

---

(١) الكشاف، ٣/ ٥٣٠.

(٢) الاعتراض: اعتراض كلام في كلام لم يتمم معناه ثم يعود إليه فيتممه. البديع لابن المعتز، ص٥٩، ط/ دار المسيرة-بيروت، تح: اغناطيوس كراتشقوفسكي. وينظر:المثل السائر، لابن الأثير، ٢/ ١٧٢، ط/ المكتبة العصرية- بيروت ، ١٩٩٥، تح: محمد محيي الدين عبدالحميد.

(٣) تفسير البحر المحيط، ج٨/ ص٧٣.

ومساق الجملة: ﴿ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ معترضة للتنبيه علىٰ صدق ما جاء به – ﷺ–وتأكيده، قال الطاهر بن عاشور: (وزيد في جانب المؤمنين التنويه بشأن القرآن بالجملة المعترضة: " ﴿ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ﴾ وهو نظير لوصفه بسبيل الله في قوله: "وصدوا عن سبيل الله" (١).

وجاءت المكافأة لهذا الإيمان وتلك الأعمال مزيّلة ومقرونة بجائزتين:

١- ﴿ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾.

٢- ﴿وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢﴾.

وهناك اعتبارات في مقام الآية ومساقها، فلم تحدد الآية الكريمة كلا من تكفير السيئات أو إصلاح البال، أكانا في الدنيا أم في الآخرة.

والذي عليه المفسرون أنه في الدنيا، والظاهر أن تكفير السيئات (٢)يكون في الدنيا والآخرة، أي: محوها في الدنيا، وعدم المؤاخذة بها يوم القيامة، أمّا إصلاح البال فالأنسب يكون في الدنيا لمناسبة إصلاح الأعمال والتحلي بها دون الانشغال بغيرها عنها، قال الزمخشري: (وَأَصْلَحَ بالَهُمْ أي: حالهم وشأنهم بالتوفيق في أمور الدين، وبالتسليط علىٰ الدنيا بما أعطاهم من النصرة والتأييد.) (٣). وذكر المراغي أنه يكون

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٥/ ٧٤، وما بعدها.

(٢) جاء في معنىٰ الآية الكريمة: (كفّر عنهم سيئاتهم) أي: سترها بالإيمان والعمل الصالح، والمراد أزالها ولم يؤاخذهم بها، وهذا حاصل في الدنيا والآخرة، ينظر:روح المعاني، الآلوسي، ج٢٦/ ص ٣٨.

(٣) الكشاف، ٣/ ٥٣٠.

في الدنيا والآخرة، قال: (وأصلح شأنهم في الدنيا بتوفيقهم لسبل السعادة، وأصلح شأنهم في الآخرة بأن يورثهم نعيم الأبد والخلود الدائم في جناته)(١).

والإصلاح في قوله: { أصلح بالهم } متوجه للدنيا والدين:(﴿وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢﴾ فيه أربعة أوجه: أحدها: أصلح شأنهم، قاله مجاهد، الثاني: أصلح حالهم، قاله قتادة، الثالث: أصلح أمرهم، قاله ابن عباس، والثلاثة متقاربة، وهي متأولة علىٰ إصلاح ما تعلق بدنياهم، الرابع: أصلح نيّاتهم، حكاه النقاش، ومنه قول الشاعر:

فإن تقبلي بالود أقبل بمثله وإن تدبري أذهب إلىٰ حال باليا

وهو علىٰ هذا التأويل محمول علىٰ إصلاح دينهم) (٢). وجاء في تفسير البالأمور عديدة حوت أغلب معاني الكلمة عند استعمال العرب لها، ومن أهمها الحال والشأن، وماله خطر، وعدم الاكتراث، وما في القلب، والفكر(٣).

والتعبير بلفظ الماضي في كلٍ: العمل (آمنوا...، وعملوا...، وآمنوا...) وكذلك الجزاء: (كفّر، وأصلح). وكأن تزامن الجزاء للعمل قائمٌ في سباق معه عند إطلاقه، أيضًا فيه إشارة إلىٰ استحضار تحقق الوصف في كلٍ (٤).

---

(١) تفسير المراغي، أحمد مصطفىٰ المراغي، ج٢٦/ ٤٥، ط/ مصطفىٰ البابي الحلبي، ط٢، ١٩٨٥م.

(٢) ينظر:روح المعاني، الآلوسي، ج٢٦/ ص ٣٨.

(٣) النكت والعيون، تفسير الماوردي، ج٥/ ص ٢٩١، وما بعدها، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت –لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م، تح: السيد عبد المقصود.

(٤) ينظر:خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني، د/ محمد محمد أبو موسىٰ،٢٣٢، ط/ مكتبة وهبة، ط٧.

وفي اصطفاء التعبير كلمة (كفّر) بدلا من (غفر) في الجزاء الأول بشارة عاجلة بمحو كل ما اقترفوه من آثام تُكدر الخاطر، وتجعل القلب في شغل دائم من الندم والتأنيب المصاحب للعجز، وفي هذا الأمر من التكريم العظيم لأصحاب الإيمان والأعمال الصالحة؛ لبيان تطهير القلب من الالتفات إلىٰ الوراء، والتعبير يتضمن إصلاحا للنفس والقلب والبدن معًا.

وفي تكفير السيئات تغطية وستر، وذلك أدبٌ عالٍ في التعامل مع أصحاب الإيمان والأعمال الصالحة وبالتجاوز عنه والصفح، وهذا ما يميّز اصطفاء الكلمة عن غيرها من الكلمات مثل (غفر) التي تدل علىٰ محو الذنب فقط.

وجاء التعبير بصيغة الماضي (كفّر) لما بيّنا، ولعل مساقها ضمن البشارات أيضًا؛ ولحصول الطمع في محو السيئات بتزامن تحقيق أصول الإيمان وفروعه والأعمال الصالحة؛ ولأنها من علامات الرضا من الحق -سبحانه.

ولصيغة الفعل بالتضعيف (كفّر) دلالة صوتية بقوة المحو واندثارها كأن لم تكن، وللمباغتة في القضاء عليها وتلاشيها،.اقل ابن جني: (جعلوا تكرير العين في المثال دليلا علىٰ تكرير الفعل فقالوا كسَّر وقطَّع وفتَّح وغلَّق. وذلك أنهم لمّا جعلوا الألفاظ دليلة المعاني فأقوىٰ اللفظ ينبغي أن يقابل بهِ قوّة الفعل) (١).

وفي التعبير بحرف الجر (عن) دلالات مشرقة وإيحاءات سامية، وحيث يشرق المعنىٰ بإزاحة السيئات التي تتعلق بهؤلاء، وجعلها خارجا عنهم مجاوزة لهم، وكأنها لم تقربهم.

(١) الخصائص، لابن جني، ٢/ ، ١٥٥، ط/ عالم الكتب-بيروت، تح: محمد علي النجار.

ومجيء (السيئات) بلفظ الجمع بشارة أخرىٰ حيث تحمل دلالات موحية بشمول تطهير أصحاب الإيمان والأعمال الصالحة منها.

أما قوله: (وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ): ففيها من الفتوحات والتجليات العظيمة بتولي إصلاح من كان هذا وصفه، قال أبو حيّان: (وحقيقة لفظ البال أنها بمعنىٰ الفكر، والموضع الذي فيه نظر الإنسان، وهو القلب، فإذا صلح ذلك فقد صلحت حاله، فكان اللفظ مشير إلىٰ صلاح عقيدتهم، وغير ذلك من الحال تابع)[(١)]، وكل ذلك إشارة إلىٰ الصلاح في الدنيا، أيضًا جاء في معناها: (وأصلح بالهم أي: حالهم في الدين والدنيا)[(٢)].

وهذا يعد من الإيجاز بالقصر[(٣)]؛ ذلك لأن المسلم لا ينقطع شغله عن الدنيا والدين بالتوفيق فيهما والتأييد، ولا يكون ذلك إلا إذا لزم أسباب الصلاح بالإيمان والاتباع والنصرة.

والإصلاح ضد الإفساد، وفي أصول الإيمان والقيام بالأعمال الصالحة استقامة وإصلاح، لكن الله يتولىٰ إصلاحهم كرامة ومكافأة منه –سبحانه–، وذلك من علامة الفوز برضا الله –سبحانه–.

وجاء الفعل علىٰ وزن (أفعل) والهمزة للتعدية؛ معالجة لإزالة ما يكدر الشأن والحال والخاطر والفكر وجميع أمورهم.

---

(١) تفسير البحر المحيط، ج٨/ ص ٧٤.

(٢) ينظر: تفسير الملا علي القاري الهروي، ج٤/ ص٤٩٨، و روح المعاني، الآلوسي، ج٢٦/ ص ٣٨.

(٣) الإيجاز: اختصار بعض الألفاظ ليأتي الكلام وجيزا من غير حذف لبعض الاسم، بديع القرآن، لابن أبي الإصبع، ٢/ ص١٧٩ ط/ نهضة مصر، تح: حفني محمد شرف.

وإصلاح البال هو الموضع المتفرد في الذكر الحكيم، وهو أزكىٰ أنواع الإصلاح، وأتمّه وأنفعه للإنسان، فهو من المهيئات للاستقامة، وأيّ استقامة ؟!! أيضًا من مهيئات الإخلاص وضبط هوي النفس بما يحميها من الزيغ والانحراف، وذلك من أعالي مراتب الفوز والنجاة المكفولة بحفظ الله الدائم الصلاح والمعالجة والنفع، فمن صلح باله صلحت أعماله، واستقام أمره علىٰ أحسن ما يوصف به من تحلّىٰ بتلك الكرامة عظيمة النفع.

وآثر التعبير كلمة (البال) على غيرها من الكلمات؛ لتشمل جميع أنواع البر والتوفيق والاستقامة، وهذا يفسر اقتران الصدقة بالتقوىٰ والتصديق بالحسنىٰ والمكافأة بالتيسير لليسرىٰ والهداية لها، في قوله تعالىٰ:﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧﴾ [الليل: ٥ – ٧].

وقوله – ﷺ–: (من كانت همّه الآخرة جمع الله له شمله و جعل غناه في قلبه، و أتته الدنيا راغمة، و من كانت همّه الدنيا فرق الله عليه أمره، و جعل فقره بين عينيه، و لم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له) (١).

فتلك المقابلة حملت معادلة خطيرة مفادها صورتان من أنماط البشرية المبرمة تتمثل في شغل قلب المرء من أمرٍ وفراغه من آخر، ومكافأته علىٰ كل صورة:

أحدهم:

همّه الآخرة: ⬅ جمع الله له شمله⬅ و جعل غناه في قلبه ⬅ و أتته الدنيا راغمة

الآخر:

(١) مصابيح التنوير علىٰ صحيح الجامع الصغير للألباني، ١/ ٣٣٢.

همّه الدنيا: ⬅فرق الله عليه أمره ⬅ و جعل فقره بين عينيه ⬅ و لم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له.

ويتجلىٰ الإعجاز في الآية الكريمة (وأصلح بالهم) الإيجاز بالقصر، ففيه تصوير منشأ التنغيص والتكدير والتنكيد في حياة المرء عدم الإذعان لله في جميع ما أمر – سبحانه–وعدم الاستقامة واقتراف الآثام والإفساد، وأثره ذلك كله واقع علىٰ النفس والقلب خاصة.

وينشأ عن عدم إصلاح البال تعطيل الأعمال، وكثرة الانشغال، والعجز، وعدم التوفيق وعدم التخطيط في الحياة.

ولعل هذا كله تهيئة لاستقبال أوامر الله وتكاليفه وتلقّيها بالقبول، والتي من أشدها الإذن بقتال المشركين وإذعانهم للجحود بالله والتخلي عن الإيمان به، والابتلاء بمواجهة الأهل والصحب والأحبة، قال تعالىٰ:﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١].

ومساق (إصلاح البال) في الآية الكريمة جاء عاما فلم يحدد بزمن، وكأنه مرهون بالإيمان، مصاحب له، واستمراره وتجدده، وكذلك الأعمال الصالحة والتوفيق لها، وبها، وفيها.

وسر التعبير بضمير الغائب في قوله: (بالهم)؛ اتباع لما ورد في الخطاب: (آمنوا، عملوا، وآمنوا، عنهم، سيئاتهم، بالهم)؛ ولتعلق الجزاء بالأمر الغيبي وهو

الإيمان؛ لذا فإن الله أخفىٰ رضاه عن عباده الصالحين بين خلقه، وأخفىٰ قبوله الأعمال، فلم يعلم أحدّ أي الأعمال مقبولة(١).

وجاءت الآية الكريمة مذيّلة بقوله: ﴿وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢﴾ الدالة علىٰ كمال الهداية وتمامها؛ ليحسن المقابلة بما ذيل به حال الذين كفروا أول السورة: ﴿وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨﴾، والضلال من صور فساد الشيء، لكنه عبّر بالضلال عن الإفساد؛ لكونه دالا علىٰ رفضها وعدم نفعها لصاحبها فهي أعمال غير مقبولة، ولا يظن ظانّ أن الإفساد منه -سبحانه- ابتداء، بل هو واقع منهم وبسبب انحراف أعمالهم وضلالها، فكانت أعمالا محبطة مبطلة لا أثر لها، ومن قال أن المعنىٰ أن الله -ﷻ-أبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله -صلىٰ الله عليه وسلم كالإنفاق الذي أنفقوه لمحاربته يوم بدر، وذلك بنصره وإظهار دينه علىٰ الدين كله (٢).

ومرتكز الإصلاح في قوله: ﴿وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ ۝٢﴾ علىٰ الحال والشأن والأمر والفكر، وتلك المعالجة بالإصلاح الذكي واقعة علىٰ النفس بكل ما تحمله من

---

(١) قال علي -رضي الله عنه-: (إن الله أخفىٰ اثنتين في اثنتين؛ أخفىٰ أولياءه في عباده فلا تدري فيمن تلقاه أيهم ولي لله، وأخفىٰ رضوانه في طاعته فلا تدري أي طاعة لك أطعت الله بها كانت سببًا في =رضوان الله جل وعلا، فلا تحقرن من الأعمال الصالحة شيئًا). دروس للشيخ صالح المغامسي موقع الشاملة.

ولقد ورد في الأثر: ("إن الله أخفىٰ ثلاثا في ثلاث، أخفىٰ رضاه في طاعته، فدخل رجل الجنة في كلب سقاه، فلا تحتقرنّ طاعة لله، وأخفىٰ سخطه في معصيته، فدخلت امرأة النار في هرة حبستها عن الطعام والشراب، فلا تحتقرن معصية لله، وأخفىٰ أسراره في خلقه (فجعل بعضكم لبعض سخريا)، فلا تحتقرنّ عبدا لله".) مقالات وخطب، ص١٥٨، موقع الشاملة.

(٢) ينظر:روح المعاني، الآلوسي، ج٢٦/ ص ٣٧.

عناصر ومعانٍ قابلة للإصلاح، ومعالجة لما بداخلها من شواغل الدنيا وهمومها، ومتعلقة بهوىٰ النفس أيضًا وإحكامها من أي زيغ أو انحراف أو ضلال، و ما يتصل بذلك من مواجهة أمور خارجة- تتعلق بالنفس- من نوازل وأمور عظيمة مستحدثة، (وإصلاح البال يجمع إصلاح الأمور كلها؛ لأن تصرفات الإنسان تأتي علىٰ حسب رأيه، فالتوحيد أصل صلاح بال المؤمن، ومنه تنبعث القوىٰ المقاومة للأخطاء والأوهام التي تلبّس بها أهل الشرك، وحكاها عنهم القرآن في مواضع كثيرة، والمعنىٰ: أقام أنظارهم وعقولهم، فلا يفكرون إلا صالحا، ولا يتدبرون إلا ناجحا) (١).

وإذا قارنّا جمال التعبير القرآني ببعض ما ورد في القرآن الكريم من مكافئة القائمين على الإيمان والأعمال الصالحة نجد عجبا، فمنها قوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: ١١٢] وقوله تعالىٰ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِۦ وَإِنَّا لَهُۥ كَٰتِبُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [الأنبياء: ٩٤]، ومنها قوله تعالىٰ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧]، وقوله تعالىٰ: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الروم: ٤٤، ٤٥]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾﴾ [غافر: ٤٠]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ ۖ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾

(١) التحرير والتنوير، ٢٥/ ٧٥، وما بعدها.

دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يونس: ٩، ١٠]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمۡ وَحُسۡنُ مَـَٔابٖ ﴿٢٩﴾﴾ [الرعد: ٢٩]، وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧﴾ [سورة الليل:٥-٧]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢].

وأكثرها التبشير بدخول الجنة، والتي منها: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ﴿١٢٢﴾﴾ [النساء: ١٢٢]، وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤۡمِنٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ وَلَا يُظۡلَمُونَ نَقِيرٗا ﴿١٢٤﴾ وَمَنۡ أَحۡسَنُ دِينٗا مِّمَّنۡ أَسۡلَمَ وَجۡهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحۡسِنٞ وَٱتَّبَعَ مِلَّةَ إِبۡرَٰهِيمَ حَنِيفٗاۗ وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا ﴿١٢٥﴾﴾ [النساء: ١٢٤ -١٢٥].

ولم توجد آية في موضعٍ من مواضع آي القرآن الكريم-مع تعدد تلك المواضع ووفرتها-في قوة هاتين الآيتين -موضوع الدراسة-تحمل كرامة وبشرىٰ للذين ينتسبون إلىٰ الإيمان بإصلاح البال.

ويتجلىٰ الإعجاز البياني في إسناد الإصلاح للغائب في الموضعين مع حسن التناسق بينهما(١): (كفّر، أصلح)؛ لكمال العناية والتعلق به. فكما قبل الأعمال الصالحة الخفية، وكذلك الإيمان والتصديق والإذعان الغيبي، فإن المكافأة تكون أوفر حظوظًا من عالم الغيب أيضًا لكثرة التعلق به سبحانه والانشغال به عمّا سواه في كل الأعمال؛ ولتناسق البيان في مساق واحد متناغم من بداية السورة: (سبيل الله، من ربهم، كفّر، أصلح) والمتحدث واحد وهو الله سبحانه، والسكاكي أعد مثل هذا التفاتا(٢) من التكلم إلىٰ الغيبة، فلم يؤثر التعبير غير ما ذُكر، فلم يقل مثلا: (سبيلي، أضللتُ أعمالهم، بما نزّلتُ، وهو الحق منّي، كفّرتُ...وأَصلحتُ...الخ)؛ لاستحسان وقوع ابتلاء الفريقين ببعض، والذي سيأتي حديثه في سياق آخر من السورة، قال تعالىٰ: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَاْ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾﴾ [محمد: ٣١]، و لكمال التصديق والإيمان في جميع ما أخبر به عنهم؛ ولإثارة السامع في تساؤلات هي مثار الإيمان في نفوس العباد: من الله؟ من المُنزّل؟ من المُكفر؟ من المُصلح؟ من المتصف بالربوبية، من المجازي بهذا أو ذاك؟...وهكذا. فإذا حصل المراد وثبت الفاعل في الأذهان بحق، أقروا بعبوديته ووحدانيته.

---

(١) حسن النسق: عبارة عن أن يأتي المتكلم بالكلمات من النثر، متتاليات متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا لا معيبا مستهجنا. بديع القرآن ٢/ ١٦٤.

(٢) الالتفات: هو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلىٰ الإخبار وعن الإخبار إلىٰ المخاطبة وما يشبه ذلك من الالتفات الانصراف عن معنىٰ يكون فيه إلىٰ معنىٰ آخر. البديع لابن المعتز، ص٥٨.وينظر مفتاح العلوم للسكاكي، ١٩٩، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، تح: نعيم زرزور.

ولا يتحقق صلاح البال إلا بهذا الوصف المشفوع بالإيمان بالله وبرسوله وبالطاعة التامة لجميع ما أُمروا به، وكذلك فهو مشروط أيضًا بما أُنّزل علىٰ رسوله.

وهناك لفتة لطيفة نبه إليها الطاهر بن عاشور عند المقارنة بين أوصاف الفريقين، والتعبير بالاسم الظاهر (سبيل الله) في جانب الذين كفروا، والضمير المضاف في جانب الذين آمنوا (وهو الحق من ربهم)، قال: (وعبر عن الجلالة هنا بوصف الرب زيادة في التنويه بشأن المسلمين علىٰ نحو قوله: " وأن الكافرين لا مولىٰ لهم"؛ فلذلك لم يقل: وصدوا عن سبيل ربهم)[1]؛ ذلك لأن في إضافة الربوبية للخلق إضافة تشريف وتقريب، أنا الصدّ عن سبيل الله ففيه إبعادٌ وتوبيخٌ لانشغالهم واشتغالهم به ضد الفطرة التي خلقهم الله عليها من اتباع الحق المستحق للعبادة.

وبين الحق تبارك وتعالىٰ في محكم التنزيل في ذات السورة بعد هذا الموضع السبب الذي من أجبه استحق فريق الإيمان التكريم بصلاح البال، وذلك في قوله تعالىٰ مباشرة: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ٣﴾ [محمد: ٣].

وفي الآية مُحسّن بديعي وهو الجمع بعد التفريق، (ويسمونه كعكسه التفسير؛ لأن في الجمع تفسيرا للمعنىٰ الذي تشترك فيه الأشياء المتفرقة تقدم أو تأخر) [2].

(١) التحرير والتنوير، ٢٥/ ٧٥.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٥/ ٧٦.

المبحث الثاني: الإعجاز القرآني في الموضع الأخير

﴿وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾:

الشاهد: قال تعالىٰ: ﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝٧﴾ [محمد: ٤ - ٦].

الشاهد في تلك الآيات: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾.

في تلك الآيات الكريمة ورد الموضع الثاني: (ويصلح بالهم)، وهناك فروق بينه وبين الموضع الأول من أوجه اتفاقًا واختلافًا:

أمّا وجوه الاتفاق:

- الموضوع فيهما واحد: اتحاد المكافأة بإصلاح البال في كلٍ.
- المسبب فيهما واحد، وهو الله-سبحانه-في كلٍ.

أمّا وجوه الاختلاف:

- الأشخاص المتعلق بهم الخطاب: في الموضع الأول في جانب الذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نزل علىٰ محمد - ﷺ. وفي الآخر: توجيه الخطاب في جانب الذين قتلوا في سبيل، وهم الشهداء.
- الصيغة: الموضع الأول ورد الخطاب بصيغة الماضي (وأصلح)، والموضع الآخر ورد الخطاب بصيغة المضارع (ويصلح).

- المساق والمقام والسبب: في الموضع الأول: الإيمان وعمل الصالحات، والإيمان بما نزل علىٰ محمد - ﷺ وثوابه. وفي الموضع الآخر: في الجهاد والقتال في سبيل الله وثوابه.

والمتأمل في مساق تلك الآيات يجد أنها في جانب (الشهداء) الذين قتلوا في سبيل الله، وهذا مثار تساؤلات عديدة، منها:

- كيف يصلح الله بال من قُتل في سبيل الله، وأُنهيت حياته في الدنيا، وإن كانوا أحياء عند ربهم يرزقون؟

- ما نوع هذا الإصلاح المترتب عليه، وهل هو في البرزخ، أم في الآخرة؟

- ما حقيقة البال المراد إصلاحه؟

ولهذه الأسباب كان الدافع لتلك الدراسة في هذا الأسلوب المتفرد الذي اختصت به تلك الصورة الكريمة.

بدايةً هناك أربع مساقات ومقامات كرامة ومكافأة ومثوبة لهذا الصنف المقاتل في سبيل الله-تعالىٰ-المحفوف بالعناية العظيمة، والثوب الجزيل:

١- مقام نفي إضلال أعمالهم علىٰ التأبيد.

٢- مقام هدايتهم.

٣- مقام إصلاح بالهم.

٤- مقام دخولهم الجنة، وتعريفها لهم.

والمتأمل في أنظمة الربط في الآيتين الكريمتين يجد تنوعًا في الأساليب:

- (فلن يضل أعمالهم) بدخول النفي بلن علىٰ الفعل في زمن الاستقبال.

- (سيهديهم) بدخول السين علىٰ الفعل المضارع.

- إتيان الأفعال في زمن الاستقبال: (فلن يضل-سيهديهم - يصلح - يدخلهم)

مجيء (عرفها لهم) في زمن الماضي؛ للمبالغة في تحقق الوقوع؛ لأن الماضي يستعمل لما سيقع(١)، وذلك من طرائق القرآن الكريم.

والمتأمل في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤﴾ يجد أمورا غاية في الإعجاز البياني:

- مرتكز النص القرآني في نفي إضلال الأعمال، وتوارد صيغة المضارع (يضل)، بعد صيغة الماضي (قُتلوا)، وتلك بشرىٰ من البشريات العظيمة بحفظ الأعمال، وعدم إتلافها أو إضاعتها علىٰ التأبيد، فلن يضيعها كحال الفريق السابق الذي صدّ عن سبيل الله في أول السورة، (بل يعطيها آمالهم، ويعظم ثوابهم، ويكرم ما بهم)(٢).

- والمتأمل في تركيب الآية الكريمة (في سبيل الله) يجد أنها تكررت خمس مرات في السورة الكريمة، وهي كناية عن مجموع الجهاد والإيمان وإتباع الحق، والدين، قال الطاهر بن عاشور: (وأضيف السبيل إلىٰ الله؛ لأنه الدين الذي ارتضاه الله لعباده: "إن الدين عند الله الإسلام"، واستعير اسم السبيل للدين؛ لأن الدين يوصل إلىٰ رضىٰ الله كما يوصل السبيل السائر إلىٰ بُغيته)(٣)، وفسّر الضحاك (سبيل الله) ببيت الله، وصدهم عنه، ومنعهم قاصديه، وقال الآلوسي ليس بذلك، وفسر ابن عباس (الذين كفروا وصدوا...) المطعمون يوم بدر وصدوا بأموالهم وأنفسهم، فصدهم آنذاك أعظم من صد غيرهم ممن كفر وصد عن السبيل (٤).

---

(١) الدلالة الزمنية للفعل الماضي والمضارع في النص القرآني، د/ زينة قرفة، ص٤٠، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، مجلة دراسات، جوان ٢٠١٧م.

(٢) تفسير الملا علي القاري الهروي، ج٤/ ص٥٠٠.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٥/ ٧٣.

(٤) ينظر:روح المعاني، الآلوسي، ج٢٦/ ص ٣٧، و التحرير والتنوير، ٢٥/ ٧٣.

ولله سبيل واحد وهو ابتغاء مرضاته والإيمان به وحده لا يشرك مع الله غيره، قال تعالىٰ بعد تلاوة ما حرم سبحانه علىٰ عباده: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وورد التركيب (في سبيل الله) في القرآن بأساليب مختلفة جمعًا وإفرادًا مما يحتاج إلىٰ إفرادها بدراسة مستقلة ليست مكانها ههنا.

وورد أيضا بلفظ الجمع (سُبل) أضيفت تارة لله سبحانه في مقام الجهاد أيضًا، من ذلك بلفظ الجمع: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ومنها ما ورد جمعا مضافًا إلىٰ السلام: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾[المائدة: ١٦].

وإيثار التعبير بأداة النفي (لن) لقطع تسلل الظن في إحباط الأعمال أو إبطالها أو إضلالها علىٰ التأبيد.

وجاء الفعل في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى﴾ مبنيا للمفعول؛ لأن المراد الإخبار عن الحدث ومتعلقه لا عن فاعله، وجاء في الزمن الماضي، والمفسرون علىٰ إطلاقه، ونبّه بن عاشور علىٰ أن قراءة حفص (قُتلوا) المبني للمفعول، تكون هديتهم وإصلاح بالهم في الآخرة (١).

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٥/ ٨٤.

والمتخيل يكون الإصلاح في الدنيا فقط، والمناسب لإصلاح حال العباد يكون في الآخرة كما يكون في الدنيا لهيئة وحال يعلمها الله، فلا يمنع أن يكون إصلاح البال في الآخرة.

والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون، قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾﴾ [البقرة: ١٥٤].) وقوله تعالىٰ: (﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ * يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٧١﴾﴾ [آل عمران: ١٦٩ - ١٧١].).

ومن صور راحة البال وصلاح الحال أن الشهداء: (لا يجدون غم الموت، ولا يفتنون فىٰ البرزخ، ولا يفزعهم الصيحة، ولا يهمهم الحساب، ولا الميزان، ولا الصراط، ولا هم يسئلون شيئا، إلا اعطوا، ولا يشفعون في شيء إلا شفعوا، ويعطون من الجنة ما احبّوا، ويتبوءون من الجنة حيث احبّوا. والله اعلم.) (١)

وهناك من المواضع يأتي الفعل في زمن ويؤول إلىٰ غيره، فلربما خرج علىٰ خلاف مقتضىٰ الظاهر من أنهم خاضوا القتال ولم يقتلوا بعد، ويكون الخطاب- عنئذ - مسندا إلىٰ الذين يقاتلون أو يخوضون القتال، ويجاهدون أي يدخلون فيه ، ويشاركون في أحداثه، ويبلون بلاء حسنا، فهذا يحسن أن يطلق عليهم: (سيهديهم،

(١) التفسير المظهري، محمد ثناء الله المظهري، ٨/ ٤٢٤، ط/ مكتبة الرشدية-باكستان، ١٤١٢ه، تح:غلام نبي التونسي.

ويصلح بالهم) في الدنيا، وتكون مكافأتهم في الآخرة أن يدخلهم الجنة ويعرفها لهم، وهذا – والله أعلم – محتمل؛ لكي يحسن البيان بإصلاح البال في الدنيا، ويحسن أن يوصف بعدم ضلال الأعمال والهداية: ﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ ، أو حصول بعضها كرامةً في الدنيا، وبعضها نعيما في الآخرة، ولا يمنع حدوث ذلك كله في الحياتين: الدنيا والآخرة أو ما يضاف لهما حياة ثالثة، وهي تلك الحياة البرزخية المتوسطة بين الحياتين المعروفتين.

وبيّن الطبرسي الفرق بين مجيء أحدهما بلفظ الماضي:"وأصلح"، والآخر بلفظ المضارع: "ويصلح"، قال: (والوجه في تكرير قوله:"بالهم" أن المراد بالأول أنه أصلح بالهم في الدين و الدنيا، وبالثاني أنه يصلح حالهم في نعيم العقبىٰ، فالأول سبب النعيم، والثاني نفس النعيم)[1].

وبهذا يستدل على أنه يحسن أن يكون الإصلاح في الآخرة كما يكون في الدنيا.

ولعل الأمر يتجاوز المقتول في سبيل الله وينتقل إلىٰ أبنائه بصلاح بالهم وفكرهم نحوهم بأفضل ما يتمنون لأهلهم وأبنائهم من حياة كريمة ورعاية وحفظ وتدبير، فقد ورد في تفسير معنىٰ الآيات: (إذا قُتل أحدٌ في سبيل الحق تولىٰ ورثة المقتول بأحسن من تولية المقتول)[2].

---

(١) مجمع البيان في تفسير القرآن، لأبي علي الطبرسي ج٢٦/ ٣١، ط/ دار مكتبة الحياة، بدون تاريخ.

(٢) لطائف الإشارات، للإمام القشيري، مجلد٣/ ص ٤٠٥، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب- مركز تحقيق التراث، ط٢، ١٩٨٣م، تح: إبراهيم بسيوني.

وهناك اعتبارات تتجاوز المرء نفسه إلىٰ غيره، وتتصل بكل من تعلق بهم بسبب قرابة أو صلة فلعل الفعل في زمن الماضي (قتلوا)، وإصلاح البال متعلق بجميع ما تعلق بالمرء من زوجة وأبناء...الخ، فهذا يحسن أن يكون الإصلاح حاصل له في الدنيا ولغيره أيضًا فيمن تعلق به، وعندها يوفقهم الله للأعمال بما يرضىٰ ويحب، كرامةً، وإرضاءً له.

أمّا الحال في الآخرة فيحسن أن يقال: هل يحتاج المرء إلىٰ إصلاح في الآخرة ؟ وأي إصلاح يكون عندئذ؟

لعل الإصلاح مناسب لما يلقاه المرء من أهوال يوم القيامة خوفا مما يلاقيه جميع العباد مما أخبر به النبي – ﷺ –من الأمور الغيبية التي تكون وقتئذ، فيكون باله مقوّما، ونفسه مطمئنة، لا يجري عليه ما يجري علىٰ غيره من الخوف والفزع والأهوال، كما أشار إلىٰ ذلك الطبرسي في أن يكون ذلك نفس النعيم.

وفي سياق آخر في سورة الأحزاب، ورد الوعد بإصلاح الأعمال والمغفرة بسبب تحقيق التقوىٰ والقول السديد، حيث قال: ﴿يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١﴾. [الأحزاب:٧١]، وذلك عقب قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠﴾ [الأحزاب: ٧٠]، فدل علىٰ صلاح الأعمال إنما يكون جزاء ومكافأة لما يتمثل به العبد من التقوىٰ والقول السديد، ويكون ذلك في الدنيا.

ومن المفسرين من ذهب إلىٰ أن صلاح البال يكون في الدنيا تمهيدا لدخولهم الجنة في الآخرة، قال: (قوله:" :﴿ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ﴾ " الضمير للذين قتلوا في سبيل الله، فالآية وما يتلوها حالهم بعد الشهادة، أي: سيهديهم الله إلىٰ منازل السعادة

والكرامة، ويصلح حالهم بالمغفرة والعفو عن سيئاتهم؛ فيصلحون لدخول الجنة، وإذا انضمت هذه الآية إلىٰ قوله تعالىٰ: "﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩]" ظهر أن المراد بإصلاح بالهم إحياؤهم حياة يصلحون بها للحضور عند ربهم بانكشاف الغطاء)[1].

ومجيء الأفعال (لن يضل-سيهديهم-يصلح بالهم-يدخلهم الجنة)، في قوله تعالىٰ:﴿ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾ في زمن الاستقبال؛ لتعجيل المسرة بحدوث المثوبة وتجددها، وما عدا (عرفها لهم)؛ لتعجيل الكرامة بسبق معرفة منازل المجاهدين في الدنيا من نصيبهم في الجنة، وتكون حال خروج الروح.

وجاء الترتيب بتقديم نفي إضلال الأعمال، علىٰ الهداية وإصلاح البال وإدخال الجنة ترتيبا منطقيًا مطمئنا يبعث علىٰ الراحة والترغيب في الجهاد في سبيل الله، وشافيا معالجا ومحافظًا علىٰ جميع الأعمال، والتي عبّر عنها بصيغة العموم، فلم تخصص بعمل معين طمأنة لكل من يخوض الجهاد في سبيل الله ويبلىٰ فيه بلاء حسنا تشجيعا وترغيبا.

وفي تقديم الهداية علىٰ صلاح البال في قوله تعالىٰ: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ وجه بليغ، زيادة في التطهير والتهيئة لإصلاح البال والحال والشأن.

---

(١) الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبائي، ١٨/ ٢٢٦، ط/ مؤسسة الأعلىٰ للمطبوعات، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٧٣.

وجاء في معنىٰ (سيهديهم): (سيوصلهم إلىٰ ثواب تلك الأعمال من النعيم المقيم والفضل العظيم، وهذا كالبيان لقوله سبحانه: (فلن يضل أعمالهم)، أو سيثبت -جل شأنه-في الدنيا هدايتهم، والمراد: الوعد بأن يحفظهم-سبحانه -، ويصونهم عما يورث الضلال، وحبط الأعمال) (١)، وفي التفسير احتمالية أن تكون الهداية في الآخرة مجازا أو في الدنيا حقيقة، واختار الشيخ الملا علي القاري الهداية في الدنيا، قال: (سيثبت هدايتهم)(٢)، في الدنيا وتكون بالتوفيق لاستحقاقهم لذلك.

ومن المفسرين من أقر احتمالية أن تكون الهداية لهم في الدنيا والآخرة، قال أبو السعود: ("سيهديهم"في الدنيا إلىٰ أرشد الأمور، وفي الآخرة إلىٰ الثواب، أو سيثبت هدايتهم)(٣).

وزاد الماوردي أمورًا تؤكد بأن الهداية في الحالين، قال: ("سيهديهم" فيه ثلاثة تأويلات: أحدها: يحق لهم الهداية، قاله الحسن، الثاني: يهديهم إلىٰ محاجة منكر ونكير في القبر، قاله زياد، الثالث: يهديهم إلىٰ طريق الجنة، قاله عيسىٰ)(٤). فدل علىٰ أن الهداية جائزة من عند الله لهم، في الدنيا والآخرة باستحقاقهم ذلك.

وبالتأمل فيما أعده الله للمقاتلين في سبيله، نجد وفرة وتنوعا في العطاء بعضها يتحقق في الدنيا وبعضها يتحقق في الآخرة، حيث ورد في حقهم خمس هبات

---

(١) روح المعاني، الآلوسي ٢٦/ ٤٣.

(٢) تفسير الملا علي القاري الهروي، ج٤/ ص٥٠٠.

(٣) تفسير أبي السعود، ٧/ ٩٣، ط/ دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٩٠م،

(٤) النكت والعيون، تفسير الماوردي، ج٥/ ص ٢٩٤.

ومكافآت في أسلوب متناسق منسجم[١]: قال تعالىٰ:﴿فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَضَرۡبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلۡحَرۡبُ أَوۡزَارَهَاۚ ذَٰلِكَ وَلَوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنۡهُمۡ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَاْ بَعۡضَكُم بِبَعۡضٖۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤ سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥ وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ٦﴾.

١- نفي ضلال الأعمال:﴿فَلَن يُضِلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٤﴾.

٢- الهداية:﴿سَيَهۡدِيهِمۡ﴾.

٣- صلاح البال:﴿وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥﴾.

٤- دخول الجنة:﴿وَيُدۡخِلُهُمُ ٱلۡجَنَّةَ﴾.

٥- يُعرّف لهم مقاعدهم في الجنة: :﴿ عَرَّفَهَا لَهُمۡ ﴾وتلك كرامة معجلة زائدة علىٰ دخول الجنة وتكون في (الدنيا، حتىٰ اشتاقوا إليها فعملوا ما به استحقوها، أو بيّنها لهم في العقبىٰ، بحيث يعلم كل أحدٍ مسكنه، ويهدي إليه، كأنه كان ساكنه) [٢].

وفيما يتعلق بجواز تحقق الهداية في جانب الشهداء، في قوله تعالىٰ:﴿سَيَهۡدِيهِمۡ وَيُصۡلِحُ بَالَهُمۡ ٥﴾ ورد في مقام آخر نفي تحقق الهداية في جانب الذين كفروا وظلموا قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَظَلَمُواْ لَمۡ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغۡفِرَ لَهُمۡ وَلَا لِيَهۡدِيَهُمۡ طَرِيقًا ١٦٨ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ١٦٩﴾ [النساء: ١٦٨، ١٦٩].

---

(١) الانسجام: أن يأتي الكلام متحدرًا كتحدر الماء المنسجم، بسهولة سبك، وعذوبة ألفاظ، وسلامة تأليف، حتىٰ يكون للجملة من المنصور وللبيت من الموزون وقع في النفوس، وتأثير في القلوب ما ليس لغيره. بديع القرآن ٢/ ١٦٦.

(٢) تفسير الملا علي القاري الهروي، ج٤/ ص٥٠٠.

دلت تلك الآيتين الكريمتين علىٰ أن الهداية جائزة في الآخرة وتتعلق بهداية الطريق الصحيح الذي عليه النجاة والفوز، وعليه يكون الاستثناء متصلا، وإن كان منقطعا فالتعبير مجاز، وهو من قبيل الاستعارة التهكمية(١)؛ لإلحاق السخرية بهم.

ومن الآيات التي تزيد الـأمر تأكيدا، وأن كلا من الهداية والاهتداء ملازم لمن أطاع الله في الدنيا والآخرة، قال تعالىٰ:(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) [الأنعام: ٨٢].

وأنهم من الفزع والتيه والضلال في الدنيا والآخرة مبعدون عنها تماما، قال تعالىٰ في شأن الذين سبقت لهم الحسنىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١- ١٠٣])

من تلك الكرامات التي حباها الله، أيضًا من عظيم المنازل وأشرفها أن يدخل المجاهدين المقاتلين الذين أبلوا بلاء حسنا في سبيل الله أن يدخلهم الجنة، قال تعالىٰ:﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾جاءت الآية الكريمة عقب ما ذكر من بشريات محفزة بالوعد بعدم إضلال الأعمال، وسوق الهداية، وصلاح البال؛ لتتميم البشريات الباعثة علىٰ طمأنة النفس بالصلاح والفلاح، ولم يقف ذلك الثواب العظيم عند هذا

(١) التهكم في الصناعة عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع النذارة، والوعد في مكان الوعيد تهاونا من القائل بالمقول له، واستهزاء به، بديع القرآن، ٢/ ٢٨٣، وعرفها السكاكي: (استعارة اسم أحد الضدين، أو النقيضين للآخر، بواسطة انتزاع شبه التضاد، وإلحاقه بشبه التناسب بطريق التهكم أو التمليح) مفتاح العلوم، ١٧٥.

الحد بل تعداه إلىٰ أكرم منزلة وأرفع درجة بأن يعرف أصحاب المنازل في الجنة منازلهم قبل ذلك.

وورد في معنى قوله: (عرفها لهم) أقوال أهمها[1]:

- التعريف يكون في الآخرة.

- وقال مجاهد: يهدي أهل الجنة إلىٰ بيوتهم ومساكنهم، وحيث قسم الله تعالىٰ لهم منها لا يخطئون، كأنهم ساكنوها منذ خلقوا، لا يستدلون عليها أحدًا، وفي الحديث: (لأحدكم بمنزله في الجنة أعرف منه بمنزله في الدنيا)، وذلك بإلهامٍ منه – ﷻ –.

-وعن مقاتل: بلغنا أن الملك الذي كان وكل بحفظ عمل الشخص في الدنيا يمشي بين يديه في الجنة ويتبعه الشخص حتىٰ يأتي أقصىٰ منزله هو له فيعرفه كل شيء أعطاه الله –تعالىٰ–في الجنة.

- وقيل تعريفها من غير استدلال عليها بملك أو غيره.

- وقيل: إن حسناته تكون دليلا له إلىٰ منزله فيها.

- وقيل: أنه تعالىٰ رسم علىٰ كل منزل اسم صاحبه وهو نوع من التعريف.

-وقيل: تعريفها تحديدها.

- وقيل: أي شرفها لهم ورفعها وعلاها علىٰ أن عرفها من الأعراف التي هي الجبال وما أشبهها.

---

(١) ينظر: الكشاف، ٣/ ٥٣٢، والبحر المحيط، ٨/ ص٧٦، وروح المعاني، الآلوسي ٢٦/ ٤٣، والدر المصون في علوم الكتاب والفنون، للسمين الحلبي، ج٦/ ١٤٨، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٤م، تح: نخبة من الأساتذة، وحاشية الشهاب علىٰ تفسير البيضاوي، ج٨/ ٤٩١، وتفسير القرطبي، ١٦/ ٢٣١.

- وقيل: أي طيّبها لهم علىٰ أنه من العَرْف، وهي الريح، ومنه طعام معرف، أي مطيب.

- وقيل: التعريف في الدنيا، وهو بذكر أوصافها، والمراد أنه تعالىٰ لم يزل يمدحها لهم حتىٰ عشقوها فاجتهدوا فيما يوصلهم إليها.

واللافت في هذا التكريم الذي أعقب الدخول في الجنة في قوله تعالىٰ: (عَرَّفَهَا لَهُمْ) ترك العاطف؛ لشبه كمال الاتصال [1] بين الجملتين؛ لأن الأولىٰ مثار أسئلة تدور في ذهن السامعين: كيف يدخلون الجنة؟ كيف يعرفون أماكنهم؟ من يدلهم عليها؟ أو من يسوقهم إليها؟

قال عبد القاهر: (وههنا أمر سوىٰ ما مضىٰ يوجب الاستئناف وترك العطف، وهو أن الحكاية عنهم بأنهم قالوا كيت وكيت، تحرك السامعين لأن يعلموا مصير أمرهم وما يصنع بهم)[2]

وهو استئناف بياني سيق تتميما وتشريفا؛ لزيادة تعلقه بتكريم أصحابها، ومن الإعجاز البلاغي أن جملة: (عَرَّفَهَا لَهُمْ) مسوقة لحسن الاستقبال والتهيئة الكريمة، وكمال إظهار الكرامة اللائقة بالفائزين المفلحين المنعمين؛ ولزيادة التنبيه علىٰ تكريم الله لأصحاب الجنة، وهي من متممات التكريم والاعتناء حتىٰ لا يضلوا الطريق إن كانت بمعنىٰ الاهتداء، أو التطييب إن كانت بمعنىٰ الرائحة.

(١) شبه كمال الاتصال من صور الفصل بين الجملتين ويسمىٰ الاستئناف البياني، ينظر: البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها، د/ عبد الرحمن حبنّكة الميداني، ١/ ٥٨٦، ط/ دار القلم- دمشق، ط١، ١٩٩٦م.

(٢) دلائل الإعجاز، عبدالقاهر الجرجاني، ٢٣٥، ط/ الخانجي، تح: محمود شاكر.

المبحث الثالث:

الإعجاز القرآني فيما ورد بصورة الأضداد بطريق غير مباشر لمعنى التركيب

إصلاح البال في سورة محمد – ﷺ – جاء تكرمة لأهل الإيمان والمجاهدين في سبيل الله لعلو منزلتهم جاء بطريق مباشر صريح، وهناك موضعان في السورة الكريمة لصنفين من الناس، ورد فيهما عكس ذلك افتضاحا لأحدهما، وتنبيها وتحذيرًا للصنف الآخر؛ لئلا يقع أهل الإيمان في هذين الموضعين ويطهرهم منهما تطهيرا تاما كاملا، والمقابل لصلاح البال الانشغال بما يفسد راحة القلب والفكر والحال، و سنعرض لهما في هذا المبحث بإذن الله.

أولًا: إخراج الأضغان وإنشغال القلب بالحقد والحسد ووصف حال المنافقين:

الشاهد: (﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ٢٩﴾ [محمد: ٢٩])

من تمام النظر في الإعجاز البلاغي التقاط الروابط والصلات للتركيب المتفرد في السورة، بل في القرآن الكريم كله: (صلاح البال) ومقابلته بعلائقه في الذهن، توافقا أو تضادا، حيث جاء ذكر الضغينة مكررا مرتين في السورة مرة في جانب الحديث عن المنافقين، وذلك عند قوله تعالىٰ: (﴿أَمۡ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخۡرِجَ ٱللَّهُ أَضۡغَٰنَهُمۡ ٢٩﴾ [محمد: ٢٩])

الأضغان جمع ضغينة، وهي انشغال القلب بالحقد والحسد، وهو ضد راحة البال والفكر، وإخراج أضغانهم إظهارها وكشفها للناس، قال الزمخشري:

(أَضْغانَهُم: أحقادهم. وإخراجها: إبرازها لرسول الله -ﷺ-وللمؤمنين، وإظهارهم علىٰ نفاقهم وعداوتهم لهم، وكانت صدورهم تغلىٰ حنقا عليهم)(١).

وعبّر بالقلوب المريضة تنبيها إلىٰ اقتداح شررها بعيبٍ خبيث لا يستقيم معه فكر ولا يهتدي له بال أو يهنأ له حال، فهم في صراع دائم متطاحن بالغيظ والحقد للذين آمنوا، (كان مرض قلوبهم خفيا؛ لأنهم يبالغون في كتمانه وتمويهه بالتظاهر بالإيمان، فذكر الله لنبيه – ﷺ – أنه لو شاء لأطلعه عليهم واحدا واحدا، فيعرف ذواتهم بعلاماتهم) (٢).

فالسورة الكريمة تعرض ثلاثة نماذج من البشر وفق الأحداث التي تتباين في تعاملها مع دين الله استقبالا وصدا:

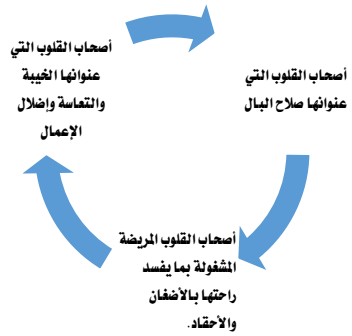

أصحاب القلوب التي عنوانها صلاح البال ←

أصحاب القلوب التي عنوانها الخيبة والتعاسة وإضلال الإعمال ←

أصحاب القلوب المريضة المشغولة بما يفسد راحتها بالأضغان والأحقاد.

(١) الكشاف، ٣/ ٥٣٧، ، وينظر: تفسير البحر المحيط، ج٨/ ص٨٤.

(٢) التحرير والتنوير، ٢٥/ ١٢١.

والآية أظهرت صراعا قويا لفريقٍ ثالث خفيّ يعمل مع الفريقين، وهو شديد العداوة للمؤمنين، وعملهم قائم بالقلب والكدّ بالفكر والعقد بالنوايا الخبيثة لما يحمل من إضمار العداوة والكره الشديدين، وهم أخطر عداوة من الفريق الثاني صريح الكفر والعداوة؛ لأن دوره قائم علىٰ تفتيت قوىٰ الإيمان، وبث الرعب والخوف في قلوبهم فهي الحرب النفسية القائمة الباطنة، ونص عليها القرآن؛ طمأنة وتهذيبا ونصرة للمؤمنين بأن الله وليهم، وهو معهم، ولن يترهم أعمالهم، مهما حاول المضعفون لقواهم، المثبطون لهممهم في مواجهة قتال أهل الشرك، ونصرة دين الله، ولعل هذا هو سبب تفرد السورة بمعالجة الذين آمنوا بصلاح البال عزة وكرامة وتثبيتا لمواجهة من يحوم حولهم حاشدين أفكارهم وأذهانهم ونواياهم الخبيثة الصارخة العداوة.

وهذا مَنّ مِن الله علىٰ رسوله والمؤمنين بأن كشف لهم حقائق من يضمرون لهم نواياهم الخبيثة ويحملون في طياتها العداء المستأصل؛ لذا جاء تعبير القرآن بقوة ضاربة لأهل الشرك والنفاق بأن الله مطلع علىٰ هؤلاء وهؤلاء، وسينصر ويُعين من اتبع دينه ولاذ به وانتصر له، قال ابن عاشور حول الأسرار النفسية لتلك الآية الكريمة " أم حسب الذين في قلوبهم مرض...الخ": (انتقال من التهديد والوعيد إلىٰ الإنذار بأن الله مُطلع رسوله –صلىٰ الله عليه وسلم– علىٰ ما يضمره المنافقون من الكفر والمكر والكيد؛ ليعلموا أن أسرارهم غير خافية فيوقنوا أنهم يكدون عقولهم في ترتيب المكايد بلا طائل، وذلك خيبة لآمالهم)[1].

(١) التحرير والتنوير، ٢٥/ ١٢٠.

ولله درّ الشيخ -رحمه الله- فهذا الملمح من قريحته الفذّة جدّ عظيم؛ ذلك لأنه أبرز فوائد عظيمة وأسرار خفيّة أجابت عن تساؤلات محيّرة عن مقتضيات تكوين السورة العجيب واشتمالها علىٰ هذا الموضع المتفرد المعالج لصلاح البال والفكر والقلب ونصرته، في جانب من اتبع الحق وآمن به، ودحض وإرباك وإفضاح وتدمير من عدل عن الحق وصد عنه وأضرّ بأهله ظاهرا وباطنا.

ثانيًا: إخراج الأضغان وإنشغال الصدر باستثقال الصدقة مع كثرة الإلحاح في إخراجها، وهذا علامة على البخل الشديد:

الشاهد: ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾ [محمد: ٣٧]).

ندلف بعد هذا الموضع إلىٰ موضع آخر، ورد آخر السورة الكريمة في جانب الحديث عن الذين آمنوا للحث علىٰ الإنفاق في الجهاد في سبيل الله، وطلب الاعتدال فيه من غير إرهاق أو مشقة، وذلك عند قوله تعالىٰ: (﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾. [محمد:٣٧])، والإحفاء: الإجهاد وكثرة الإلحاح في الطلب، قال الزمخشري:(والإحفاء: المبالغة وبلوغ الغاية في كل شيء، يقال:أحفاه في المسألة إذا لم يترك شيئا من الإلحاح. وأحفىٰ شاربه: إذا استأصله)[1].

وتلك الآية الكريمة لها تعلق بما قبلها فالأمر بالإنفاق في سبيل الله والصدقة في جميع أنواع الخير والبر يمتحن النفس أن كل شيء في الحياة فان، وأن الدنيا لهو ولعب، وأن ذلك من الابتلاءات للنفس وأن يكون تعلقها بالله لا بشيء غيره، وتقطع تعلقها بمتاع الدنيا الزائل، وأن هذا من كمال الإيمان بالله وتمام التقوىٰ، ولأن الله لا

(١) الكشاف ٣/ ٥٣٩.

يسألهم أموالهم كلها، أو علىٰ وجه الإلزام، ولا لذاته، بل للإنفاق في سبيله، وما ذاك إلا لفائدتهم وإصلاح أمورهم(١).

وسد الزريعة بتجنب ما يعكر صفو الجماعة بالحنق والحقد علىٰ من يبخل أو ينفق فوق ما يستطيع فيظهر غضبه ورفضه لذلك فيخسر ويهلك، أو يدب في نفسه الخوف من كثرة الإنفاق بحلول الفقر كما أشاع المنافقون، وحكاه القرآن علىٰ لسانهم: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَا يَفۡقَهُونَ ٧﴾ [المنافقون: ٧] (٢)، فالقرآن يعالج ما يقع فيه المرء من وساوس النفس، وحرص الهوىٰ، وتسليط الشيطان خوف الفقر بالإصلاح والتطهير والتهذيب.

وصورة إخراج الضغينة من ضيق الصدر دلالة علىٰ استثقال الصدقة مع كثرة الإلحاح في إخراجها، وهذا علامة علىٰ البخل الشديد، والضمير في: (ويُخرج) يعود إما علىٰ الله-سبحانه، ويكون الإخراج بالتطهير، أو علىٰ البخل؛ لأنه سبب الأضغان(٣)، ويكون بإخراج أنواع الحقد وأصناف الحسد وأجناس الكيد لرسول الله - ﷺ-وأتباعه (٤) فيحملهم البخل علىٰ الضغينة والحقد علىٰ رسول الله- ﷺ- (٥)؛ فيهلكوا، و قال أبو حيان في معناها:(تطعنون علىٰ الرسول، وتضيق صدوركم كذلك) (٦)، فالأمر له علاقة بتنقية الصدر والفكر والبال من التفكير الزائد السلبي

---

(١) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٥/ ١٣٣.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير، ٢٥/ ١٣٥.

(٣) تفسير القرآن العظيم، أبو الحسن السخاوي، ج٢/ ص٣٥٠، ط/ دار النشر للجامعات، ط١، ٢٠٠٩م، تح:د/ موسىٰ علىٰ موسىٰ، د/ أشرف القصاص.

(٤) تفسير الملا علي القاري الهروي، ج٤/ ص٥٠٩.

(٥) حاشية الشهاب، ٨/ ٥٠٩.

(٦) تفسير البحر المحيط، ج٨/ ص٨٤.

المهلك، فقد قيل: (لا يستقر علىٰ بساط العبادة إلا أهل السعادة، وقد يطأ البساط المترسمون بالعبودية أوقاتا ثم لا يستقرون عليه ثباتًا ويبدل الله مكانهم فيه منه من أوجب السعادة له ألا ترىٰ أن الله يقول: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾ [محمد: ٣٨])(١).

فالسورة تحتضن إظهار الكرامة للذين آمنوا بما سيق لهم البشريات براحة البال والفكر وعدم الاكتراث بأيٍ من مكابد الحياة الشاقة، وهم في معية الله- سبحانه- كما تطرد الأحقاد والأفكار الخبيثة الهادمة لاستقرار راحة النفس وعدم انشغال الفكر بما يقلقه في الدنيا أو في الآخرة، كما ورد في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾ [الأعراف: ٤٢، ٤٣]). وقوله أيضًا: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٤٥﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [سورة الحجر: ٤٥-٤٨].

فالأمر إذن متعلق بتطهير ومعالجة نفوس وقلوب وأفكار المنتمين إلىٰ الإسلام، الذين ثبتت أقدامهم في الإيمان، ونجحوا في الصبر علىٰ بلاءاته في الجهاد ونحوه من التكاليف والفرائض التي فرضت عليهم مثل الزكاة والصدقة.

(١) تفسير الملا علي القاري الهروي، ج٤/ ص٥١٠.

نظرة كلية وتدبر أخير:

المناسبة والصلة بين الآيات:

المتتبع لأسباب نزول آيات السورة يجد ملمحًا عجيبا يصلح أن يتكئ عليه البحث في نتيجة عظيمة مؤداها أن القرآن الكريم راعىٰ المقام النفسي لأهل الإيمان في أبسط معانيه وأبهىٰ صوره، وقام بمعالجة ما أصابهم من سبّ وقذف، وهزيمة نفسية يوم أحد، وتوالي الأحداث العظام، وانتشار خبر قتل النبي-ﷺ- كذبا وبهتانا، وكثرت الجراحات في المسلمين يومئذٍ، ودب الوهن والضعف في صفوف المسلمين -بعد هذا الخبر، وقام أبو سفيان عندئذٍ يرجز معيّرًا أهل الإيمان، ويصيح ظانًا أنه قد انتصر: (اعلُ هبل)، ويصيح ويقول: (لنا العُزّىٰ ولا عُزّىٰ لكم).

فيأتي الرد من السماء قرآنا يتلىٰ يُتعبد به إلىٰ يوم الدين: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾﴾ [محمد: ١١]..

ولقائل يقول: ما علاقة تلك الأحداث، وهذه الآية بموضع البحث: صلاح البال؟

إن الله يتولىٰ الرد عن عباده بأبلغ عبارة وأوجز إشارة، بما يدفع مكرهم وكيدهم وتعييرهم، ولم يكتف بذلك بل إن الحق تبارك وتعالىٰ يكفل لعباده الذين آمنوا به، واتبعوه، ونصروه، وثبتوا للقاء العدو، يكفل لهم راحة البال والفكر والحال والشأن عندئذٍ، بصفة دائمة تطيبا لخاطرهم، ومكافأة لثباتهم.

فتلك صورة من صور تكفل الله بحفظ عباده وحفظ أنفسهم من كل ما يلحق بهم من شر أو ضيق نفسي أو قهرٍ أو هزيمة نفسية، جاء في أسباب نزول الآيات: (عن

قتادة: ﴿ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ۝٤ ﴾ [محمد:٤]، ذُكر لنا أن هذه الآية أُنزلت يوم أُحد ورسول الله ﷺ في الشِّعْب، وقد فَشَت فيهم الجراحات والقتل، وقد نادىٰ المشركون يومئذ: أُعْلُ هُبَلْ، فنادىٰ المسلمون: الله أعلىٰ وأجلّ، فنادىٰ المشركون: يوم بيوم، إن الحرب سجال، إن لنا عُزَّىٰ، ولا عُزَّىٰ لكم، قال رسول الله -ﷺ: "اللهُ مَوْلانا وَلا مَوْلَىٰ لَكُمْ. إنَّ القَتْلَىٰ مُخْتَلِفَةٌ، أمَّا قَتْلانا فأَحْيَاءٌ يُرْزَقُونَ، وأمَّا قَتْلاكم فَفِي النَّارِ يُعَذَّبُونَ".) (١).

تأمل كيف سارع القرآن في الدفاع عن أهل الإيمان وحفظهم وتطهيرهم، وتولي الرد القاهر المعجز، الجامع المانع، الله سبحانه-ﷻ-بما يحفظ أنفسهم من الغيظ والغل والحقد ومكائد النفس وفحش القول وبذاءة اللسان والكدر والغيظ والهزائم النفسية، بموفور النصرة والكرامة والبشارة.

تأمل كيف ناسب الرد المعجز علىٰ زعيم الكفر آنذاك في موقف عصيب، وتولىٰ الرد رب العباد من فوق سبع سماوات تكريمًا وتشريفًا ونصرةً لعباده المؤمنين، لم يكن هذا الحين فقط بكل في كل الأحايين والأوقات العصيبة، ولم يكن للأحياء منهم فقط بل يصيب تلك التكرمة وتلك البشارة خاتمة الذين قتلوا في سبيل الله فيحظوا

(١) تفسير الطبري، ٢٢/ ، ١٥٩، ط/ مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ ٢٠٠٠- هم ت: أحمد محمد شاكر، وينظر: تفسير ابن كثير، ٧/ ٢٨٧، ط/ دار الكتب العلمية-بيروت، ط١ -١٤١٩ هـ، تح:محمد حسين شمس الدين، و تفسير القرطبي، ١٦/ ٢٣٠، وتفسير البغوي، ١/ ٥١٤، ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٧م، تح:محمد عبد الله النمر وآخرون.والتفسير المنير للزحيلي، ٢٦/ ٨٤، د.وهبة بن مصطفىٰ الزحيلي، ط/ دار الفكر المعاصر- دمشق، ط٢، ١٤١٨ هـ.

بالسعادة في الدنيا والآخرة، مما ينشر الطمأنينة في قلب كل من يتلوا تلك الآيات الكريمة ويمتثل للإيمان ونصرة الله بحق.

وتأمل أيضًا أن تلك المواضع من الآيات هي من مظاهر الكمال لسماحة الإسلام ومن مظاهر كمال الأخلاق وكمال الآداب التامة، حيث جاءت الآيات ردًا علىٰ ما تسارع به القوم آنذاك صدّا وحقدا وغيظا وعداوة متأصلة من فاحش القول وبذيئه.

ما أرمي إليه ما هو مركوز في الطباع وفي القصص والشواهد، أنه –صلىٰ الله عليه وسلم–لم يعتد ولم يسبق بالعداوة قولا أو فعلا علىٰ أهل الكفر والنفاق، (ولم يرد أي خبر بأن النبي–ﷺ–رفض في أي وقت طلب صلح أو عهد أمان من أعداء محاربين، كما أنه لم يرد أي خبر بأنه قاتل أو أمر بقتال أناس مسالمين أو حياديين أو معتزلين. والذي يدرس وقائع الجهاد يرىٰ أن النبي –ﷺ–لم يبعث سرية ولم يباشر غزوة ولم يشتبك بقتال مع فئة إلّا ردا علىٰ عدوان أو انتقاما من عدوان أو دفعا لأذىٰ أو تنكيلا بغادر أو تأديبا لباغ أو ثأرا لدم إسلامي أهدر أو ضمانة لحرية الدعوة والاستجابة إليها، أو بناء علىٰ نكث عهد أو بسبب مظاهرة لعدو أو تآمر معه علىٰ المسلمين.

وكل هذا متسق مع النصوص القرآنية التي لا يمكن أن يصدر منه ما ينقضها بطبيعة الحال.

وكل هذا ينطبق علىٰ وقائع القتال مع اليهود والنصارىٰ الكتابيين أيضا. فكل عملية تأديب أو تنكيل أو غزوة ضد يهود يثرب والقرىٰ اليهودية الأخرىٰ في طريق الشام كانت ردا علىٰ عدوان أو مؤامرة ضد الإسلام والمسلمين)[1].

(١) التفسير الحديث، دروزة محمد عزت، ٢/ ٣٦، ط/ دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ١٣٨٣ هـ.

ذلك بأن القانون الإلهي الذي ارتضاه الله لعباده المؤمنين يعلو فوق الهمم ويسموا علىٰ معاني الرقي والآداب والأخلاق، ويطهر عن الدناءة والخسة وحقارة بشتىٰ أنواع الفواحش والآثام الذي يقرر التخلي عن الظلم وعدم التلبث بجميع أجناسه و صوره حيث يقول: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [الأنعام: ٨٢]). وتلك مظاهر سماحة الإسلام الثابتة الظاهرة التي لا تنكر ولا يجادل ولا يشك فيها علىٰ مر العصور.

وجاءت تلك المواضع في سورة محمد-ﷺ- إعزازًا وتكريما بصاحب تلك السورة الكريمة خاتم الأنبياء والرسل، وإشارة إلىٰ قوة التمسك به الذي يحل مشاكل القلب والفكر والحال والشأن، وإصلاح ما أفسده المفسدون، الذي جاء هدىً و نورا مبينا ورحمة للعالمين، فكان في سيرته وسريرته الطيب وراحة البال وصلاح الحال لكل من اتبعه واتبع ما جاء به وهو الحق من ربهم، والآيات كثيرة ونكتفي بقوله تعالىٰ: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾ يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿١٦﴾ ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]) إذا ما أضيف هذا إلىٰ صلاح الحال وراحة البال أمن الناس دينهم ودنياهم وأوطانهم ومعاشهم في الغدوة والروحة وعاشوا بسلام واطمئنان، وهذا من كمال الإعجاز القرآني البليغ المعجز.

خاتمة

الحمد لله في الأولين والآخرين، له الحمد في الأولىٰ والآخرة، ونصلي ونسلم علىٰ خاتم الأنبياء والمرسلين وعلىٰ آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد،

فإن مشقة البحث عن الروابط والصلات بين سياقات المقام الواحد، ومقتضيات النص وأثره في النفوس-وخاصة عند تناول كلام الله المعجز-تذوب عند بلوغ الغاية المرجوة منها، مع ما تجده من حلاوة الحصول علىٰ نتائج مقنعة ومرضية وموثقة.

ولقد ظفرت من خلال رحلتي مع بعض من فرائد القرآن التركيبية بنتيجة – أحسبها مرضية-فقد دعّمها البيان النبوي، وأساسٌ متين، وقانونٌ عظيم، وتلك النتيجة ترسم العلاقة بين الله وبين العباد الذين يؤمنون به ويعلقون بأسباب نصرته. فقد وردت الآيات الكريمة؛ للرد علىٰ تعيير قريشٍ لهم ورد إلحاق الهزيمة النفسية بهم والتصدي لإشاعة الفوضىٰ بين صفوفهم.

فلم يكن النصر نصرًا ماديًا فقط، بل كان مدعومًا بإحاطة إلهية بعيد المدىٰ حيث فاق الأمر حدود المعنويات النفسية المظللة علىٰ كيان الناصر لدين الله، وتذوق لذة الانتصار في الصبر والامتثال لأوامر الله وحسن التعلق به، وسيأتي الرد مفاجئًا مُرضيًا، والحراص -في أبهىٰ صوره -علىٰ الحفاظ علىٰ السكينة، مصحوبا بأثمن وأقيم ما يتمناه المرء في الوجود: إصلاح الحال وتهذيب الفكر وراحة البال.

وبعد تلك النتيجة المرضية يتيح البحث أن يبسط توصيات من أهمها:

- ضرورة استصحاب النظر عند تحليل آي القرآن للبيان النبوي، فالسنة بيان للقرآن.

- العود علىٰ جميع مقامات القرآن وخطاباته بالدراسة النفسية العميقة (التي تتعلق بنفس المخاطبين) والتي تبحث عن العلاقات والروابط والصلات بينها من حيث مقتضياتها دواعيها وأثرها في النفوس.

- النظر في تراكيب فرائد السورة الواحدة، ومن ثم في القرآن كله، والمباشر منها وغير المباشر.

- إبراز إشراقات الدلالات النفسية لدىٰ المخاطبين وأثر ذلك في نفوسهم، والوقوف علىٰ جوانب المعالجة النفسية لأحوالهم.

- رسم خريطة ذهنية نفسية لجميع المقامات والتراكيب المتفردة، المباشر منها الذي ورد بشكل صريح، وغير المباشر الذي جاء في الكلام ضمنا.

والله ولي التوفيق، والهادي من وراء القصد

مصادر البحث ومراجعه

١. **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، شرح القسطلاني، ط/ المطبعة الكبرىٰ الأميرية، مصر، ط٧، ١٣٢٣هـ.

٢. **إرشاد الفحول**، للشوكاني، ط/ دار الكتاب العربي، ط١، ١٩٩٩م، تح:أحمد عزو عناية.

٣. **أساس البلاغة**، للزمخشري، ط/ ، دار الفكر- ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

٤. **الأساس في التفسير**، سعيد حوّي، ط/ دار السلام ط٢، ١٩٨٩م.

٥. **الاستيعاب في بيان الأسباب**، سليم بن عيد الهلالي، ط/ دار ابن الجوزي ، المملكة العربية السعودية، ط/ ١، ١٤٢٥.

٦. **أنوار القرآن وأسرار الفرقان**، تفسير الملا علي القاري الهروي، ط/ دار الكتب العلمية، تح:د/ ناحي السويد.

٧. **أنوار القرآن وأسرار الفرقان**، تفسير الملا علي القاري الهروي، ط/ دار الكتب العلمية.

٨. **إيجاز البيان في سور القرآن**، محمد علي الصابوني، ط/ دار الصابوني، ط٢، ١٩٨٦م.

٩. **الإيضاح في علوم البلاغة**، للخطيب القزويني، ص٣٢٢، ط/ دار إحياء العلوم، ط٤، ١٩٩٨م.

١٠. **بديع القرآن**، لابن أبي الإصبع، ط/ نهضة مصر، تح: حفني محمد شرف.

١١. **البديع** لابن المعتز، ط/ دار المسيرة-بيروت، تح: اغناطيوس كراتشقوفسكي.

١٢. **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**، د/ عبد الرحمن حبنّكة

الميداني، ط/ دار القلم-دمشق، ط١، ١٩٩٦م.

١٣. **تاج العروس من جواهر القاموس**، للزبيدي، ط/ دار الهداية، تح:مجموعة من المحققين.

١٤. **التحرير والتنوير**، الطاهر بن عاشور، ط/ الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤م.

١٥. تحفة الأحوذي، للمباركفوري، ٨/ ١٢، ط/ دار الكتب العلمية – بيروت، بدون تاريخ..

١٦. **تفسير ابن كثير**، ط/ دار الكتب العلمية- بيروت، ط١ - ١٤١٩هـ، تح:محمد حسين شمس الدين، و تفسير البغوي، ١/ ٥١٤، ط/ دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٩٧م، تح:محمد عبد الله النمر وآخرون.

١٧. **تفسير أبي السعود**، ٧/ ٩٣، ط/ دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٩٩٠م،

١٨. **تفسير البحر المحيط**، لأبي حيان، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩٣م.

١٩. **التفسير الحديث**، دروزة محمد عزت، ط/ دار إحياء الكتب العربية – القاهرة، ١٣٨٣هـ.

٢٠. **تفسير الطبري**، ط/ مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠ م ت: أحمد محمد شاكر.

٢١. **تفسير القرآن العظيم**، أبو الحسن السخاوي، ط/ دار النشر للجامعات، ط١، ٢٠٠٩م، تح:د/ موسىٰ علىٰ موسىٰ، د/ أشرف القصاص.

٢٢. **تفسير القرطبي**، ط/ دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢ - ١٩٦٤ م، تح: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش.

٢٣. **تفسير المراغي**، أحمد مصطفىٰ المراغي، ط/ مصطفىٰ البابي الحلبي، ط٢،

١٩٨٥م.

٢٤. **التفسير المظهري**، محمد ثناء الله المظهري، ط/ مكتبة الرشدية-باكستان، ١٤١٢ه، تح:غلام نبي التونسي.

٢٥. **التفسير المنير** للزحيلي، د.وهبة بن مصطفىٰ الزحيلي، ط/ دار الفكر المعاصر- دمشق، ط٢، ١٤١٨هـ.

٢٦. **التنوير شرح الجامع الصغير**، للصنعاني، ط/ دار السلام، الرياض، ط١، ٢٠١١ م، تح:د/ محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم

٢٧. **تهذيب اللغة**، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، ط/ دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط/ ١، ٢٠٠١م، تح: محمد عوض مرعب ـ

٢٨. **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي**، شهاب الدين الخفاجي، ط/ دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٤م، تح: الشيخ: عبد الرازق المهدي.

٢٩. **خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني**، د/ محمد محمد أبو موسىٰ، ط/ مكتبة وهبة، ط٧.

٣٠. ال**خصائص**، لابن جني، ط/عالم الكتب- بيروت، تح: محمد علي النجار.

٣١. **الدر المصون في علوم الكتاب والفنون**، للسمين الحلبي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٩٩٤م، تح: نخبة من الأساتذة.

٣٢. **دستور العلماء، أو جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد نكري، ط/ دار الكتب العلمية- لبنان/ بيروت، ط١، ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م، تعريب:حسن هاني فحص.

٣٣. **الدلالة الزمنية للفعل الماضي والمضارع في النص القرآني**، د/ زينة

قرفة، جامعة محمد البشير الإبراهيمي، مجلة دراسات، جوان ٢٠١٧م.

٣٤. **روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني**، الآلوسي، ط/ دار إحياء التراث، بدون تاريخ.

٣٥. **شرح النووي علىٰ صحيح مسلم**، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٢، ١٣٩٢ ه.

٣٦. **صحيح البخاري**، ط/ دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢ه، تح:محمد زهير بن ناصر الناصر.

٣٧. **صحيح مسلم**،، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، تح: محمد فؤاد عبد الباقي

٣٨. **الفروق اللغوية**، لأبي هلال العسكري، ط/ مؤسسة النشر الإسلامي، ط١، ١٤١٢هـ..

٣٩. **القاموس المحيط**، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ط/ مؤسسة الرسالة– بيروت، بدون تاريخ.

٤٠. **كتاب العين**، الخليل بن أحمد، ط/ دار الهلال،تح:د/ مهدي المخزومي/ د إبراهيم السامرائي.

٤١. **كتاب الكليات**، لأبي البقاء الكفوي، ط/ مؤسسة الرسالة–بيروت– ١٤١٩هـ–١٩٩٨م، تح:د.عدنان درويش، وأ/ محمد المصري.

٤٢. **الكشاف فيما تضمنه الكشاف من الاعتزال لابن المنير**، ضمن تفسير الكشاف للزمخشري.

٤٣. **الكشاف**، للزمخشري، ط/ دار إحياء التراث العربي – بيروت، تح:عبد الرزاق المهدي

٤٤. **لطائف الإشارات**، للإمام القشيري، مجلد٣/ ص ٤٠٥، ط/ الهيئة المصرية العامة للكتاب-مركز تحقيق التراث، ط٢، ١٩٨٣م، تح: إبراهيم بسيوني.

٤٥. **المثل السائر**، لابن الأثير، ط/ المكتبة العصرية- بيروت، ١٩٩٥، تح:محمد محيي الدين عبدالحميد.

٤٦. **مجمع البيان في تفسير القرآن**، لأبي علي الطبرسي، ط/ دار مكتبة الحياة، بدون تاريخ.

٤٧. **المحيط في اللغة**، للصاحب ابن عباد، ط/ عالم الكتب- بيروت/ لبنان، ط/ ١، ١٩٩٤م، تح: محمد حسن آل ياسين.

٤٨. **المخصص لابن سيده**، دار إحياء التراث العربي- يروت، ط١، ١٩٩٦م، تح:خليل إبراهيم جفال.

٤٩. **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** للرافعي، لأحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي، ط/ المكتبة العلمية- بيروت.

٥٠. **المعجم الوسيط**، ط/ دار الدعوة، تح: مجمع اللغة العربية، بدون تاريخ.

٥١. **معجم مقاييس اللغة** لابن فارس، ط/ دار الجيل-بيروت- لبنان١٩٩٩م، ط/ ٢، تح:عبد السلام محمد هارون. لسان العرب، لابن منظور، ط/ دار صادر-بيروت، ط١، بدون تاريخ.

٥٢. **مفتاح العلوم للسكاكي**، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، تح: نعيم زرزور.

٥٣. **الميزان في تفسير القرآن**، السيد محمد حسين الطباطبائي، ط/ مؤسسة الأعلىٰ للمطبوعات، بيروت-لبنان، ط٢، ١٩٧٣.

٥٤. **ناسخ القرآن ومنسوخه**، أبو الفرج الجوزي، تح: محمد أشرف علي

المليباري ـ، ط/ عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط٢، ٢٠٠٣م.

٥٥. **النكت والعيون**، تفسير الماوردي، ط/ دار الكتب العلمية، بيروت–لبنان، ط٢، ٢٠٠٧م، تح: السيد عبد المقصود.

المواقع:

١. دروس للشيخ صالح المغامسي موقع الشاملة.

٢. مقالات وخطب، موقع الشاملة.

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
	مقدمة	٢٦٣٢
	مدخل	٢٦٣٧
	أولًا: معنى صلاح في اللغة.	٢٦٣٧
	الفرق بين (أصلح)، و (أفلح).	٢٦٤١
	ثانيًا: معنى البال في اللغة.	٢٦٤٢
	(صلاح البال) في السنة.	٢٦٤٦
	ثالثًا: أسباب نزول سورة محمد ﷺ.	٢٦٤٩
	رابعًا: موضوع السورة الكريمة.	٢٦٥١
	مواضع ورود (البال) في القرآن الكريم.	٢٦٥٨
	المبحث الأول: الإعجاز القرآني في الموضع الأول: (وأصلح بالهم).	٣٦٦٠
	المبحث الثاني: الإعجاز القرآني في الموضع الأخير: (ويصلح بالهم).	٢٦٧٠
	المبحث الثالث: الإعجاز القرآني فيما ورد بصورة الأضداد بطريق غير مباشر لمعنى التركيب.	٢٦٨٦
	نظرة كلية وتدبر أخير: المناسبة والصلة بين الآيات	٢٦٩٢
	خاتمة	٢٦٩٦
	فهرس المصادر والمراجع	٢٦٩٨
	فهرس الموضوعات	٢٧٠٤